

دراسة تعاقب الحروف في جامع البيان للطبرى

الدكتور/ أشرف أحمد حافظ عبد السميع

جامعة الكويت - كلية الآداب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد.

فالبحث في كتاب الله نعمة، والنظر فيه عبادة، والتفكر فيه إفادة، لذا اخترت هذا الموضوع، وعنوانه [دراسة تعاقب الحروف في جامع البيان للطبرى]، وهو من الموضوعات الشائكة الشائكة، أما الشائكة فلاختلاف العلماء في رد تعاقب الحروف أو قبوله، وأما الشائكة فلأنها تتعلق بأعظم نص على الإطلاق، وكيف لا وهو كلام الله تعالى الذى، {لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} تَرْيَلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ^١، فنحن نتعامل مع نظم القرآن، لاعم مجرد حرف ينوب عن آخر، بل مع مقتضيات النص، المعضدة بأقوال السلف الصالح من العلماء العاملين.

أما كتاب الله فقد تكفل الله بحفظه، فكتبَ في عهد النبى صلى الله عليه وسلم على مواد بدائية، ثم قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه بجمعه في صحف؛ حتى لا يضيع بموت كثير من حفاظ القرآن في معركة اليمامة ضد المرتدين، ثم جمعه عثمان بن عفان رضى الله عنه في مصحف واحد، وعلى حرف واحد^٢؛ حتى لا تختلف الأمة اختلاف اليهود والنصارى في كتابهم.

وهكذا سخر الله لهذا الكتاب أنامل كريمة، ليقوم على أيديهم أمر الحفظ الإلهى الكائن في قوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}^٣.

ولما حفظ النص كان همُّ الأوائل استظهار القرآن في الصدور، وتطبيق أحكامه على النفوس؛ حتى يكون القرآن بتطبيقه العملي حجة لهم لآعليهم. وظهرت بعض المحاولات لفهم بعض المواضع اليسيرة، وبخاصة فيما يتعلق بآيات الأحكام. فقد كان هناك تخرجٌ من الخوض في كتاب الله من جل الصحابة رضوان الله عليهم؛ خوفا من الوقوع تحت طائلة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال في كتاب الله بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"°. وقوله أيضا: "من قال في كتاب الله بغير علم فأصاب فليتبوأ مقعده من النار"°.

ولم يكن أحد من الصحابة متجربا على الخوض في كتاب الله مثل ابن عباس رضى الله عنه، لالشيء إلا لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"°، وما رواه الطبراني عن مجاهد عن ابن عباس قال دعا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "نعم الترجمان أنت" ودعا لى جبريل مرتين"°. ولعل مسائل نافع بن الأزرق° التى أراد أن يختبر بها ابن عباس متحديا إياه أن يأتى بدلالة معانيها من الشعر العربى، ففعل ابن عباس فيما يعرف بسؤالات نافع بن الأزرق، لعل تلك المسائل تعد اللبنة الأولى للتفسير القرآنى، بل اللبنة الأولى للمعاجم العربية.

وتتابعت تفاسير القرآن بداية من شرح غريب ألفاظه خاصة، وتحلية معانيه عامة، سواء أكانت هذه التحلية بشرح ميسر، أم بشرح مبسوط مشفوع بأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم، وآثار التابعين، أو تحليل العلماء العاملين من خلال استخدام أدوات التفسير المختلفة والمتعددة والمعارف اللازمة للمفسر، كالعلم بلغات العرب وأشعارها، وأيامها وأمثالها وحكمها، ومعرفة علوم القرآن كناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيده، وعامه وخاصه، وأسباب نزوله وعموم أحكامه، وبراعة استهلاله، وتناسب آياته. وكل واحد من تلك العلوم الخاصة والعامة أصبح علما قائما بذاته.

نعم كان هناك حذر، ولكن لما زادت المعرفة، واتسعت آفاق الأفهام، أصبح الخوض في القرآن أمراً ضرورياً، وشاء الله أن يفتح على كثير من العلماء ففتشوا في القرآن، فأراهم الله ما لم يره غيرهم، وجلّى لهم ما استتر عن سواهم. وقد فتح الله لهؤلاء المفسرين فتوحات عظيمة ومن هؤلاء الطبري في تفسيره الذي يعد عمدة المفسرين، ورائد المؤولين، وابن كثير في تفسيره العظيم، والفخر الرازي في كتابه مفاتيح الغيب، والقرطبي في الجامع.

ومن أعظم التفاسير التي يقوم عليها هذا البحث تفسير الطبري؛ فالطبري هو الإمام الفقيه والمحدث واللغوي والمؤرخ، غير أن الجانب الذي يعنينا الآن هو الجانب اللغوي في تفسيره، فالطبري كان مفسراً لغوياً نحويّاً، أضف إلى ذلك أنه كان صاحب مذهب فقهي، وقد ثبت أنه من أصحاب المذاهب، ولكنه اندثر؛ إذ لم يجد تلامذته في نشر مذهبه، بيد أن تفسيره يكفي ليدل على مذهبه، إذ حوى جميع آرائه الفقهية.

ولعل من أهم مميزات هذا التفسير أنه يمثل خلاصة فكر الرجل، ومنهجه في التعامل مع الآراء المختلفة، إذ ألفه في الثلث الأخير من حياته، فقد بدأ الطبري في وضع تصانيفه حينما عاد إلى بغداد، وربما لم يبدأ في التصنيف حال عودته؛ إذ ظل يدرس مذهب الشافعي عشر سنوات، ثم اتخذ لنفسه مذهباً، وفي تفسيره يبدو مذهبه واضحاً.

فليس بغريب أن نرى تلك التعبيرات الآتية تصدر عنه في تفسيره: وأرى... والصواب من الرأي.... والصواب عندي والصواب عندنا... فلا يقول هذا وبخاصة في المسائل الفقهية إلا صاحب مذهب.

ولم يكن الطبري صاحب رأى في المسائل الفقهية فحسب، بل تعداه إلى الجوانب اللغوية، كما كان صاحب اختيار للقراءات.

وقد نظرت إلى المسائل اللغوية في تفسير الطبري فوجدتها كثيرة، فجمعتها كاملة للبحث في آراء الطبري عامة، وتفكيره اللغوي خاصة، ثم اخترت من بين المسائل

اللغوية موضوعَ التبادل الدلالى بين الحروف، وهو ما يعرف فى تصانيف العلماء بتعاقب الحروف.

فهل هناك تعاقب بين الحروف، أم إنَّ هناك تضمينا بين الأفعال، أم يؤخذ النص على ظاهره دون الخوض فى تلك المسألة، ونكون عند ذلك من أنصار من يَرُدُّون الترادفَ فى اللغة؟!

لاشك أن لكل كلمة دلالتها، بيد أننا لانتحدث عن نيابة حرف مكان حرف، أو فعل عن آخر، إننا نتناول نظاما كاملا، لافصل فيه بين اسم أو فعل أو حرف، إننا نتحدث عن تركيب كامل، تتباين فيه معانى الكلمات، بتباين موقعها فى التراكيب، فلا الفعل تقوم له قائمة دون فاعل، ولا المبتدأ تستقيم له الدلالة دون خبر أو ما يسد مسده، ولا جار ومجرور ينفرد بالدلالة دون متعلقه. ومن ثم لاينبغى أن تكون أحكامنا عامة مطلقة بالرد والقبول وبخاصة فى تلك المسألة.

لِمَ لا يكون النظمُ حكما على اختيارنا أو مذهبنا فى تلك المسألة؟ أليس لكل تركيب معنى؟ فما يقبل فى موضع قد يرد فى آخر، ومناطق الحكم فى تلك المسألة هو النظم.

إننا أمام مسألة جديرة بالدراسة؛ لأننا لانقرأها مع الطبرى قراءة وصفية، فنحن مع الطبرى نرى للوصف التحليلى مكانة، و للنظر العقلى دراية؛ فالطبرى لايقول: [إلى] بمعنى [مع]، كقوله تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} ١٠ وكفى، كما فعل كثير من العلماء القدماء والمحدثين، وليس فى ذلك قصور منهم، فمن عالم ينقل الظاهرة، ومن آخر يقوم بوصفها، ومن ثالث يقوم بتحليلها وتعليقها.

فنحن فى دراستنا للطبرى نجد أنفسنا أمام واصف للظاهرة ومحلل لها فى مواضع كثيرة، موضحا أسباب ردها أو قبولها.

وكذلك فعل القرطبي وابن جني، وأصحاب الفكر في التفسير واللغة رحمهم الله أجمعين.

وحين نتحدث عن رأى الطبرى في تلك المسألة لانكتفى برأيه فقط، فالقضية لاتخص الطبرى فحسب بل إن كثيرا من علماء اللغة والتفسير قد أدلى دلوه فيها، ثم إن النص الذى نفتش فيه ليس خاصا بالطبرى أو غيره إنما هو النص القرآنى، الذى أمر الله المسلمين أن يستمعوا له ويستمعوا النظر به، كما أجاز للعلماء البحث فيه. وإن كنا لانغفل أن أساس بحثنا هذا هو موقف الطبرى من تلك المسألة.

وحيثما تناولت مسألة معانى الحروف وتناوبها وجدتنى أمام أراء ثلاثة: الأول: رأى من رفضوا تعاقب الحروف، وقد نظرهؤلاء إلى دلالة كل حرف فى بابه دون اعتبار لانتقاله إلى معانٍ مجازية ربما يفرضها العرف الاستعمالى.

الثانى: ويرى أصحابه قبول التعاقب فى موضعٍ دون غيره من المواضع، وقد نظرهؤلاء إلى دلالة كل حرف فى موضعه، فلم يطلقوا مسألة التعاقب دون قيد، والطبرى^{١١} من هؤلاء المفسرين، وابن جنى من اللغويين.

فابن جنى يعقد بابا عنوانه [باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض] ثم يقول تحته: هذا باب يتلقاه الناس معسولا ساذجا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه، وأوقفه دونه^{١٢}.

ويقول: وذلك أنهم يقولون: إن [إلى] تكون بمعنى [مع]، ويحتجون لذلك بقوله سبحانه {مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ} ^{١٣}؛ أى: مع الله...^{١٤}

ومن يتوقف عند مأورده ابن جنى يظن، بل ربما يقطع بأن ابن جنى يرفض تناوب الحروف رفضا تاما، وليس ذلك بشيء، فابن جنى يعقب على ذلك بقوله: ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا؛ لكننا نقول: إنه يكون بمعنىاه فى موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له، فأما فى كل موضع، وعلى كل حال فلا...

وعلى أنه أجاز تناوب الحروف بحذر وعلى شرط فقد أجاز التضمين، تضمين فعل مكان فعل، ويقول: اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موضع صاحبه، إيدانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جرى معه بالحرف المعتاد، مع ما هو في معناه، وذلك كقول الله عز وجل {أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} ^{١٥} وأنت لاتقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدى [أفضيت] بـ [إلى] كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ [إلى] مع الرفث، إيدانا وإشعارا أنه بمعناه... ^{١٦} وكذلك قوله تعالى {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟} أى: مع الله، وأنت لاتقول: سرت إلى زيد؟ أى: معه، لكنه إنما جاء {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟} لما كان معناه: من ينضاف في نصرتي إلى الله ^{١٧}. ومثل ابن جنى للتضمين بشواهد مختلفة ^{١٨}.

أما الرأى الثالث فهو الرأى الغالب لمن نقلوا التعاقب في كتبهم دون ضابط، من خصوصية دلالة كل حرف في موضعه، وهؤلاء هم معظم النحاة واللغويين كماورد في كثير من كتب معاني الحروف، ومعظم المعاجم العربية.

والرأى الثانى هو ما نذهب إليه، إذ لاينبغى أن تكون الأحكام مطلقة على جميع النصوص، وخصوصا في مسألة معاني الحروف وتعاقبها، تلك المعاني التى يكون مناطها النظم لا الكلمة كما أسلفنا الذكر، وبخاصة في كتاب الله.

أضف إلى ذلك أن الذى دعا كثيرا من العلماء إلى إطلاق حكم التعاقب هو تقارب بعض الحروف في أصل الدلالة، كدلالة الباء في بعض المواضع على الظرفية، مما دعاهم إلى صرف [الباء] إلى معنى [في] الظرفية، وهذا قريب من الصواب.

وقد تكون القراءة على حرف ثبتت صحته أو آخرتبت شدوذه قد حدا ببعض العلماء إجازة تناوب الحروف، لتقارب المعنى بين حرف وآخر.

وأعود إلى أقسام البحث، إذ قسمت البحث أربعة أقسام:

أولاً: المقدمة: وتناولت فيه أسباب اختيار الموضوع، والمناهج المختلفة فيه، ومنهج البحث. ومادما تناول موضوعا في تفسير الطبرى فلا بد أن نتحدث عن حياة الطبرى، وعن تفسيره عامة، ومنهجه اللغوى، ومذهبه النحوى، واختيارته واجتهاداته فى ذلك، ثم نشرع فى الموضوع ذاته، ولذا ثنيت بعد المقدمة بتمهيد ثم أتبعته الدراسة بفصلين.

أما التمهيد: فقد تناولت فيه عدة نقاط منها حياة الطبرى، من مولده حتى وفاته، ونبوغه، ورحلاته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته.

الفصل الأول: وعنوانه [المذهب النحوى] وقد عرضت فيه المذهب النحوى الذى يسير عليه الطبرى فى التحليل اللغوى، أو تحليله النحوى، والمصطلح النحوى، وتأييده للرأى الكوفى، وآرائه النحوية العامة. مع التمثيل لذلك بما ورد فى تفسيره.

ويعمل الطبرى فى معظم توجيهاته اللغوية وآرائه النحوية للكوفيين، ومن ثم مصطلحاتهم، وقد استعمل مصطلحات بصرية.

ومن ثم نستطيع أن نعتبر تفسير الطبرى وعاء للآراء النحوية المختلفة بصرية وكوفية، فبغض النظر عن تأييده، للرأى الكوفى فى مواضع، لكن هذا التأيد جعله يعرض للرأى المخالف، بل يقوم بتحليله وتعليقه.

الفصل الثانى: وعنوانه [دراسة تعاقب الحروف فى جامع البيان للطبرى] وأعرض فيه أراء الطبرى فى هذه المسألة وذلك من خلال الآيات القرآنية التى نص العلماء على قبول تناوب الحروف فيها أو رده.

وسبلنا ترتيب البحث فى معانى الحروف وتعاقبها ترتيبا أبجديا، هجائيا من الهمزة إلى الواو، فبدأنا بـ[إلا]، ثم [إلى] فـ[أم]، وهكذا.

ثم أورد آراء العلماء في تناوب الحرف المذكور عن غيره، وأثنى برأى الطبرى في ذلك، وأعرض تحليله لآراء غيره من العلماء، للوصول إلى أقرب معنى لمراد النظم، ثم أقوم بالتعليق عليه ما أمكننى.

على أن هناك بعض المواضع لم يشر إليها الطبرى من قريب أو بعيد لهذه المسألة، غير أنه أشار إليها ضمناً خلال تفسيره للآية، أو أشار إلى هذا التناوب من خلال آية أخرى فإن لم يتعرض لها الطبرى البتة أغفلنا تلك الحروف؛ لأنها ليست من صلب الموضوع الذى يبرز موقف الطبرى من تلك القضية، وذلك نحو: [على] بمعنى [عند]، و[عن] بمعنى [من]، و[فى] بمعنى [الباء]، و[فى] بمعنى [من]، و[قد] تفيد النفى، و[اللام] بمعنى [إلى]، و[اللام] بمعنى [بعد]، و[اللام] بمعنى [على]، و[اللام] بمعنى [مع]، و[من] بمعنى [ربما]، و[من] بمعنى [عند].

ثم أنهيت البحث بخاتمة تضم شتات نتائج البحث الجزئية و الكلية.

ثم وضعت ثبناً لمصادر البحث ومراجعته.

ولايسعنى فى نهاية بحثى هذا إلا أن أسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرضى به عنا وعن جميع علماء المسلمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

حياة الطبرى^{١٩}

مولده: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبرى الآملى البغدادى، ولد الطبرى فى آمل بطبرستان، وقد الشك فى تاريخ ولادته، قال بعضهم ولد آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، وقال بعضهم: أول سنة خمس وعشرين ومائتين.

نبوغه: تحدث الطبرى عن أمره فى حادثة سنة فقال: حفظت القرآن ولى سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع. وقال

عنه عبد العزيز الطبري: لقد كان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب، وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم....

وليس أدل على نبوغه من أنه على الرغم من قصر المدة التي قضاها في مصر فإنه أخذ فقه الشافعي الجديد، بل حفظه وأتقنه، وأخذ قراءة حمزة وورش عن شيخ القراء في مصر يونس بن عبد الأعلى الصدفي، فأتقنها وضمناها في تفسيره، وذلك كله في سنتين فقط.

رحلاته: لما رأى أبوه نبوغاً في عقله وحفظه، مع يسار عيش أبيه دفعه إلى الرحلة في سبيل العلم.

الرحلة الأولى: إلى الري: كان أول ما رحل إلى الري، فأخذ عن شيوخها فدرس الفقه على أبي مقاتل، وكتب عن أحمد بن حماد الدولابي كتاب [المبتدأ]، وأخذ المغازي عن إسحاق عن سلمة بن الفضل.

الرحلة الثانية: إلى الكوفة: وكتب فيها عن هناء بن السري، وإسماعيل بن موسى الحديث، وأخذ عن سليمان بن خلاد الطلحي القراءات، ولقى فيها أبا كريب محمد بن العلاء الهمداني....

الرحلة الثالثة: إلى بغداد: وأخذ في مدارس القرآن، وانقطع إلى أبي يوسف التغلبي المقرئ زماناً، ثم جنح إلى دراسة فقه الشافعي، فاتخذ مذهباً.

الرحلة الرابعة: ١- إلى الشام: مر الطبري على الشام وهو في رحلته إلى مصر، وأقام أياماً طويلاً في بيروت، والتقى بأبي العباس بن الوليد البيروتي المقرئ، وختم القرآن في سبعة أيام برواية الشاميين تلاوة على أبي العباس البيروتي.

٢- الرحلة إلى مصر: رحل الطبري من بيروت إلى الفسطاط، وقد بلغها سنة ثلاث وخمسين ومائتين، والتقى فيها بأبي الحسن السراج المصري، وكان أديباً...

وقد جمعته الرحلة في مصر بمحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني.

وطالت إقامته في مصر تخللتها رحلة إلى الشام، ثم عودة إلى مصر مرة أخرى، أخذ فيها الفقه عن الربيع والمزني، وأبناء عبد الحكم.

وقد قرأ فقه مالك على تلاميذ ابن وهب، والتقى فيها يونس بن عبد الأعلى الصدي أخذ عنه قراءة حمزة وورش.

الرحلة الخامسة: عودته إلى بغداد: عاد الطبري إلى بغداد بعد رحلة سنتين إلى مصر، كان لها أعظم الأثر في تكوين شخصية هذا العالم، وبخاصة بعد أن اطلع على مذهب الشافعي الجديد [رأى الشافعي الجديد]، عاد إلى بغداد واستقر بها قرابة خمسين عاما حتى وفاته.

وفاته: وقد توفي الطبري في بغداد سنة عشر وثلاثمائة، ودفن يوم الأحد بالغداة في داره.

من مؤلفاته: - اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام - بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام - آداب الناس - آداب النفوس - تاريخ الرسل والملوك - تهذيب الآثار وتفصيل الثابت من الأخبار - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الجامع في القراءات - صريح السنة - طرق الحديث - عبارة الرؤيا - كتاب العد والتنزيل - مختصر الفرائض - كتاب الوقف.

مذهبه الفقهي: يقول الطبري: أظهرت مذهب الشافعي، واقتديت به ببغداد عشر سنين، وقد تلقاه عن الزعفراني والربيع المرادي. أما الزعفراني فكان راويا للشافعي... وقال مرة: إن لأقرأ كتب الشافعي، وتقرأ على منذ خمسين سنة... وقال الماوردي: هو أثبت رواة القديم، وقد توفي سنة ستين ومائتين.

أما المرادي فهو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي أبو محمد المصري.... صاحب الإمام الشافعي وخادمه وراويته كتبه الجديدة... وهو الذي يروي كتب الشافعي. قال الشافعي عنه: الربيع راويتي... وقال عنه أيضا: إنه

أحفظ أصحابي، وقد ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي سنة سبع ومائتين، فمن الطبيعي أن نجد ترجمة الطبري في طبقات الشافعية، ومن البدهي أيضا أن يقول الطبري: أظهرت مذهب الشافعي، واقتديت به ببغداد عشر سنين، وتلقاه مني ابن بشار الأحول^{٢٠}.

وهذا يعني أنه قرر بعد السنوات العشر الأولى من عودته إلى بغداد أن يتخذ لنفسه مذهباً فقهياً، فقد اختمرت في عقله آراء الشافعي القديمة والجديدة.

وسرعان ما جر النسيان أذياله على مذهب الجريرية؛ إذ لم يحفظ تلاميذ الطبري وجود مذهبه كما سجل تلامذة الفقهاء الآخرين فقههم فحفظوه، ونظن أن لعداء أصحاب مذهب أحمد بن حنبل دخلاً في عدم نشر مذهبه؛ فقد اختلف مع الحنابلة في كون أحمد فقيهاً، فلم يذكره في كتابه الفقهاء، وعده حجة في الحديث لاحجة في الفقه، واختلف معهم أيضاً في تفسير قوله تعالى {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}^{٢١}، فناصبوه العداء، وحاولوا إيذائه، واتهموه بالزندقة لولا حماية الشرطة له.

ونظن أن هذا العداء بدأ بعد السنوات العشر الأولى من مقامه إلى بغداد، بعد أن اتخذ لنفسه مذهباً، ألا يكون هذا العداء سبباً من أسباب فقد مذهبه؟، فإذا كان صاحب المذهب يتعرض للأذى فأتباعه كذلك، فربما أخفى طلابه ما دونوه، وبخاصة في بيئة سيطر عليها مذهب الإمام أحمد سيطرة تامة.

عموماً فتفسير الطبري وعي معظم أرائه الفقهية واللغوية والقراءة، فحفظ لنا كثيراً مما ضاع، وقد يظهر الزمان ما أخفى من أرائه الفقهية، من خلال مخطوطات موجودة هنا أو هناك.

الفصل الأول

المذهب النحوي

أولاً: المصطلح النحوي: استخدم الطبري المصطلحات الكوفية بشكل واضح وكثيف، فقد استخدم مصطلح الصفات^{٢٢} كمصطلح كوفي، ويعني به حروف

الجر فيقول: والقول الآخر: فأن توجه معنى قوله تعالى {وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَٰطِئِهِمْ} ^{٢٣}، "وإذا خلوا مع شاطئهم"، إذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضاً ^{٢٤}.

-ويستخدم الصفة مرة أخرى بمعنى الجار والمجرور، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى {وَلَكِنَّ مَتِّمٌ أَوْ قَتَلْتُمْ لِإِلَٰهِ اللَّهِ تُحْشَرُونَ} ^{٢٥}

وأدخلت اللام في قوله: {لِإِلَٰهِ اللَّهِ تُحْشَرُونَ}، لدخولها في قوله: "ولكن". ولو كانت اللام مؤخرة إلى قوله: "تُحْشَرُونَ"، لأحدثت النون الثقيلة فيه، كما تقول في الكلام: لكن أحسنت إلي لأحسنن إليك بنون مثقلة. فكان كذلك قوله: ولكن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله، ولكن لما حيل بين اللام وبين تحشرون بالصفة ^{٢٦}، أدخلت في الصفة، وسلمت تحشرون، فلم تدخلها النون الثقيلة، كما تقول في الكلام: لكن أحسنت إلي لإليك أحسن، بغير نون مثقلة ^{٢٧}.

-ثم يستخدم تفسير الفعل ^{٢٨} -وهو مصطلح كوفي - بمعنى المفعول لأجله، وذلك قوله: وإنما نصب قوله تعالى {حَذَرَ الْمَوْتِ} ^{٢٩} على نحو متنصب به التكرمة في قولك: زرتك تكرمة لك، تريد بذلك: من أجل تكرمك، وكما قال جل ثناؤه {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} ^{٣٠} على التفسير للفعل ^{٣١}.

-ثم يستخدم مصطلح الصرف ^{٣٢} كمصطلح كوفي أيضاً، والمقصود به الانصراف عن معنى إلى آخر، يؤثر في الإعراب، فيقول في قوله تعالى {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ^{٣٣}. والوجه الآخر منهما: أن يكون النهي من الله جل ثناؤه لهم عن أن يلبسوا الحق بالباطل، ويكون قوله: "وتكتموا الحق" خيراً منه عنهم بكتماهم الحق الذي يعلمونه، فيكون قوله: {وَتَكْتُمُوا} حينئذ منصوباً لانصرافه عن معنى قوله: "وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ" إذ كان قوله: {وَلَا تَلْبِسُوا} نهيًا، وقوله {وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ} خيراً معطوفاً عليه، غير جائز أن يعاد عليه ما عمل في قوله {وَتَلْبِسُوا} من الحرف

الجازم. وذلك هو المعنى الذي يسميه النحويون صرفاً. ونظير ذلك في المعنى والإعراب قول الشاعر^{٣٤}:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

فنصب تأتي على التأويل الذي قلنا في قوله: {وَتَكْتُمُوا}، لأنه لم يرد: لا تنه عن خلق ولا تأت مثله، وإنما معناه: لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله، فكان الأول نهيًا، والثاني خبرًا، فنصب الخبر إذ عطفه على غير شكله^{٣٥}. -وقد استخدم الصرف في موضع آخر، وفسره بوضوح شديد، وذلك في قوله تعالى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} ^{٣٦} يقول الطبري: ونصب {وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}، على الصرف. و الصرف، أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق^{٣٧}، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف، لأنه مصروف عن معنى الأول، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام. وذلك كقولهم: لا يسعني شيء ويضيق عنك، لأن لا التي مع يسعني، لا يحسن إعادتها مع قوله: ويضيق عنك، فلذلك نصب ^{٣٨}.

-ثم يستعمل التفسير^{٣٩} بمعنى التمييز وهو مصطلح كوفي أصيل، وذلك في قوله تعالى {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} ^{٤٠} يقول الطبري: وإنما نصب النفس على معنى المفسر. وذلك أن السفه في الأصل للنفس، فلما نقل إلى "من"، نصبت النفس، بمعنى التفسير. كما يقال: هو أوسعكم دارا، فتدخل الدار في الكلام على أن السعة فيها، لا في الرجل. فكذلك النفس أدخلت لأن السفه للنفس، لا لـ "من". ولذلك لم يجوز أن يقال: سفه أخوك. وإنما جاز أن يفسر بالنفس، وهي مضافة إلى معرفة، لأنها في تأويل نكرة^{٤١}.

-وفي قوله تعالى {قُلْ أُوْبِيكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} ^{٤٢} يقول الطبري: وأما قوله: {خَالِدِينَ فِيهَا}، فمنصوب على القطع^{٤٣}، ويقصد به الحال^{٤٤}.

- ثم يستخدم مصطلح الترجمة^{٥٠}، وهو مصطلح كوفي المقصود به البديل، وذلك عند تفسير قوله تعالى {لَيْسُوا سَوَاءً، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}^{٥١}، فيقول: وقد توههم جماعة من نحوي الكوفة والبصرة والمقدمين، أن ما بعد سواء في هذا الموضع من قوله {أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} ترجمة عن سواء^{٥٢}. ويستخدم الترجمة في موضع آخر، وذلك في تفسير قوله تعالى {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا، قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}^{٥٣} يقول الطبري: يعني تعالى ذكره بذلك: وليعلم الله الذين نافقوا، {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا}.

فموضع "الذين" نصب على الإبدال من "الذين نافقوا"، وقد يجوز أن يكون رفعا على الترجمة عما في قوله: "يكتمون" من ذكر "الذين نافقوا"^{٥٤}.

- ويستخدم الكناية^{٥٥} عند تفسير قوله تعالى قوله تعالى {هَآئِنْتُمْ أُولَآءِ}^{٥٦}، فيقول: وقال {هَآئِنْتُمْ أُولَآءِ} ولم يقل هؤلاء أنتم ففرق بين "ها" و"أولاء" بكناية اسم المخاطبين^{٥٧}. والكناية مصطلح كوفي، يقصد به الضمير، وقد يستعمل فعله "ويكنى".

ثانيا: الخلط بين المصطلح البصري والكوفي:

وعلى الرغم من أن الطبري جرى على المصطلح الكوفي فإنه قد يورد رأى البصريين ويستعمل مصطلحهم، وإذا أورد رأى الكوفيين فيستخدم مصطلح أهل البصرة أو الكوفة؛ أي إنه قد يخلط بين المصطلحين. ولكنه في نهاية اختياره يعيل لمصطلح الكوفيين، كما يعيل لرأيهم. وذلك عند تفسير قوله تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}^{٥٨}.... يقول: ونصب "قائما" على القطع... وكان بعض نحوي أهل البصرة يزعم أنه حال من "هو" التي في "لا إله إلا هو". وكان بعض نحوي الكوفة يزعم أنه حال من اسم الله الذي مع قوله: "شهد الله"، فكان معناه: شهد الله القائم بالقسط أنه لا إله إلا هو. وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود

كذلك: وأولو العلم القائم بالقسط، ثم حذفت الألف واللام من القائم، فصار نكرة وهو نعت لمعرفة، فنصب^{٥٤}.

فاستخدم الحال، والنعت، والقطع، فالحال مصطلح بصرى، والنعت هو ذلك التابع الذى يسميه البصريون صفة، والقطع وهو الحال عند الكوفيين.

- واستعمل مصطلح الصفة^{٥٥} كمصطلح بصرى، ويقصد به مصطلح النعت وهو مصطلح كوفى، وذلك فى تفسير قوله تعالى {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ}^{٥٦}، ويقول: وهذا القول قول مخالف المعروف من كلام العرب. وذلك أن الموصوف بأنه ذو القرابة فى قوله: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ}، الجار دون غيره. فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران لقليل: وجار ذي القربى، ولم يقل: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ}. فكان يكون حينئذ - إذا أضيف الجار إلى ذي القرابة - الوصية بـ جار ذي القرابة، دون الجار ذي القربى، وأما "والجار" بالألف واللام، فغير جائز أن يكون "ذي القربى" إلا من صفة الجار...^{٥٧}.

- ويستخدم الخفض بدلا من الجر، ويستخدم العطف بدل النسق، ويكثر من استخدام الصفة بمعنى النعت، وذلك فى قوله تعالى {وَالَّذِينَ يُتَّفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ}^{٥٨}

يقول الطبرى: "والذين" فى موضع خفض، عطفاً على {لِلْكَافِرِينَ}. وبعد، ففي فصل الله بين صفة^{٥٩} الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وصفة الفريق الآخر الذين وصفهم فى الآية قبلها، وأخبر أن لهم عذاباً مهيناً، بالواو الفاصلة بينهم، ما ينبئ عن أنهما صفتان من نوعين من الناس مختلفي المعاني، وإن كان جميعهم أهل كفر بالله. ولو كانت الصفتان كلتاها صفة نوع من الناس، لقل إن شاء الله: "وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً"، "الذين يتفقون أموالهم رياء الناس"، ولكن فصل بينهم بالواو لما وصفنا^{٦٠}.

فإن ظن ظان أن دخول الواو غير مستنكر في عطف صفة على صفة لموصوف واحد في كلام العرب، فإن ذلك، وإن كان كذلك، فإن الأفصح في كلام العرب إذا أريد ذلك، ترك إدخال الواو. وإذا أريد بالثاني وصف آخر غير الأول، إدخال الواو. وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه كتابه، أولى بنا من توجيهه إلى الأنكر من كلامهم^{٦١}.

-ويستعمل العطف في قوله تعالى {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}^{٦٢}.
وأما قوله: "ويسلموا"، فإنه منصوب عطفاً، على قوله: {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ}، وقوله: {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ}، نصب عطفاً على قوله: {حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}^{٦٣}.

-ويستعمل الحال، وذلك في تفسير قوله تعالى {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ}^{٦٤}، يقول: واختلف أهل العربية في نصب قوله: "فتن". فقال بعضهم: هو منصوب على الحال، كما تقول: ما لك قائماً^{٦٥}، يعني: ما لك في حال القيام. وهذا قول بعض البصريين. وقال بعض نحوي الكوفيين: هو منصوب على فعل: مالك، قال: ولا تبال أكان المنصوب في مالك معرفة أو نكرة. قال: ويجوز في الكلام أن تقول: ما لك السائر معنا، لأنه كالفعل الذي ينصب بـ[كان] و[أظن] وما أشبههما. قال: وكل موضع صلحت فيه فعل ويفعل من المنصوب، جاز نصب المعرفة منه والنكرة، كما تنصب كان وأظن، لأنهن نواقص في المعنى، وإن ظننت أنهن تامات^{٦٦}.

-وقد مزج الطبري بين المصطلح الكوفي والبصري بشكل واضح عند تفسيره قوله تعالى {لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا}^{٦٧}، فقال: ثم اختلف في

"المقيمين الصلاة"، أهم الراسخون في العلم، أم هم غيرهم؟. فقال بعضهم: هم هم.

ثم اختلف قائلو ذلك في سبب مخالفة إعرابهم إعراب "الراسخون في العلم" وهما من صفة نوع من الناس... وقال آخرون: وهو قول بعض نحويي الكوفة والبصرة: والمقيمون الصلاة، من صفة الراسخين في العلم، ولكن الكلام لما تطاول، واعترض بين الراسخين في العلم، "والمقيمين الصلاة" ما اعترض من الكلام فطال، نصب المقيمين على وجه المدح. قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم، خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله. وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه. وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب. واستشهدوا لقولهم ذلك بالأبيات التي ذكرتها في قوله: {وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا} وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ،^{٦٨}.

وقال آخرون: بل المقيمون الصلاة من صفة غير الراسخين في العلم في هذا الموضع، وإن كان "الراسخون في العلم" من المقيمين الصلاة. وقال قائلو هذه المقالة جميعاً: موضع المقيمين في الإعراب، خفض. فقال بعضهم: موضعه خفض^{٦٩} على العطف على ما التي في قوله: "يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة.... وقال آخرون منهم: بل معنى ذلك: "والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، هم والمؤتون الزكاة، كما قال جل ثناؤه: {يُؤْمِنُ بِأَلَلهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ}^{٧٠}.

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون: المقيمين منصوباً على المدح^{٧١}. وقالوا: إنما تنصب العرب على المدح من نعت من ذكرته بعد تمام خبره. قالوا: وخبر الراسخين في العلم قوله: "أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً". قال: فغير جائز نصب "المقيمين" على المدح، وهو في وسط الكلام، ولما يتم خبر الابتداء. وقال آخرون: معنى ذلك: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة.

وقالوا: موضع المقيمين، خفض. وقال آخرون: معناه: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وإلى المقيمين الصلاة.

قال أبو جعفر: وهذا الوجه والذي قبله، منكر عند العرب، ولا تكاد العرب تعطف بظاهر على مكني^{٧٢} في حال الخفض، وإن كان ذلك قد جاء في بعض أشعارها.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال عندي بالصواب، أن يكون المقيمين في موضع خفض، نسقاً^{٧٣} على ما، التي في قوله: "بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، وأن يوجه معنى المقيمين الصلاة، إلى الملائكة^{٧٤}.

فقد خلط الطبري في تحليله النحوى بين المصطلح الكوفي والبصري فاستعمل الصفة والنعت والخفض والعطف والنسق، ولا ضير في ذلك فالتعمق والإكثار من استخدام آراء المذاهب المتعددة يجعل مصطلحات تلك المذاهب من مكونات العالم الثقافية، ومحتوى قاموسه اللغوى، وإن كان ذلك لا يصرفه عن منهجه في اختيار آرائه.

ثالثاً: اختياره النحوى: وقد يعرض الطبري لرأين لغويين ثم يوافق أحدهما ويخالف الآخر بدليل نقلى أو عقلى، وذلك من خلال عرض معنى المفاعلة، وأنها لا تكون إلا من فاعلين، أو بين شيئين وهو رأى بعض أهل البصرة، ورأى يقول: إن يفاعل بمعنى يفعل؛ أى إن الألف ليست للمشاركة، ولكنها للمبالغة. وذلك عند تفسيره لقوله تعالى {يُخَلِّدُونَ آلَ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}^{٧٥}

يقول الطبري: فإن قال لنا قائل: قد علمت أن المفاعلة لا تكون إلا من فاعلين، كقولك: ضاربت أخاك، وجالست أباك إذا كان كل واحد يجالس صاحبه ومضاربه. فأما إذا كان الفعل من أحدهما، فإنما يقال: ضربت أخاك، وجلست إلى أبيك. فمن خادع المنافق فجاز أن يقال فيه: خادع الله والمؤمنين؟ قيل: قد قال بعض المنسويين إلى العلم بلغات العرب: إن ذلك حرف جاء بهذه الصورة

أعني يخادع بصورة يفاعل، وهو بمعنى يفعل، في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب، نظير قولهم: قاتلك الله، بمعنى قتلك الله.

وليس القول في ذلك عندي كالذي قال، بل ذلك من التفاعل الذي لا يكون إلا من اثنين، كسائر ما يعرف من معنى يفاعل ومفاعل في كل كلام العرب. وذلك: أن المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه على ما تقدم وصفه والله تبارك اسمه خادعه، بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معاده، كالذي أخبر في قوله: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا} ^{٧٦}، وبالمعنى الذي أخبر أنه فاعل به في الآخرة بقوله: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} ^{٧٧} فذلك نظير سائر ما يأتي من معاني الكلام — (يفاعل ومفاعل). وقد كان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول: لا تكون المفاعلة إلا من شيئين، ولكنه إنما قيل: يخادعون الله عند أنفسهم، بظنهم أن لا يعاقبوا، فقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم، بحجة الله تبارك اسمه الواقعة على خلقه بمعرفته، وما يخدعون إلا أنفسهم، قال: وقد قال بعضهم: (وَمَا يَخْدَعُونَ)، يقول: يخدعون أنفسهم بالتخيلية بها. وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة. ^{٧٨} فأيد رأى البصريين بدليله العقلي والنقلي معا.

وفي قوله تعالى {بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} ^{٧٩} يتحدث عن نوع [ما]، وأنها مصدرية، ومن ثم امتدَّ حديثه إلى [كان] الزائدة في أسلوب التعجب، فعرض لرأى بعض علماء البصرة وقد ذهبوا إلى أن [كان] زائدة، لتأكيد حدوث الفعل الأصلي في الماضي، ومثلوا لذلك بزيادتها في أسلوب التعجب، وأنا حينما تعجب في قولنا: ما أحسن ما كان عبد الله ^{٨٠}. فإننا لا نتعجب من عبد الله لا من كونه. ورأى الكوفيين أن [كان] ألغيت في الفعل؛ لأن الفعل تقدمها... وأما العلة في إبطالها

في هذه الحال فلشبه الصفات والأسماء بـ[فعل] و[يفعل]... وقد أيد الطبرى الكوفيين في علتهم تلك.

يقول الطبرى: وقد زعم بعض نحوي البصرة أن [ما] من قول الله تبارك اسمه {بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}، اسم للمصدر، كما أن [أَنْ] و[الفعل] اسمان للمصدر في قولك: أحب أن تأتيني، وأن المعنى إنما هو بكذبهم وتكذيبهم. قال: وأدخل [كان] ليخبر أنه كان فيما مضى، كما يقال: ما أحسن ما كان عبدالله، فأنت تعجب من عبدالله لا من كونه، وإنما وقع التعجب في اللفظ على كونه. وكان بعض نحوي الكوفة ينكر ذلك من قوله ويستخطئه، ويقول: إنما ألغيت [كان] في التعجب، لأن الفعل قد تقدمها، فكأنه قال: حسنا كان زيد و حسن كان زيد يبطل كان، ويعمل مع الأسماء والصفات التي بالفاظ الأسماء، إذا جاءت قبل [كان]، ووقعت [كان] بينها وبين الأسماء. وأما العلة في إبطالها إذا أبطلت في هذه الحال، فلشبه الصفات والأسماء بـ[فعل] و[يفعل] اللتين لا يظهر عمل كان فيهما. ألا ترى أنك تقول: يقوم كان زيد ولا يظهر عمل كان في يقوم، وكذلك قام كان زيد. فلذلك أبطل عملها مع [فاعل] تمثيلاً بـ [فعل] و [يفعل]، وأعملت مع [فاعل] أحياناً لأنه اسم، كما تعمل في الأسماء. فأما إذا تقدمت [كان] الأسماء والأفعال، وكان الاسم والفعل بعدها، فخطأ عنده أن تكون [كان] مبטلة. فلذلك أحال^{٨١} قول البصريين الذي حكيناه، وتأول قول الله عز وجل {بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} أنه بمعنى: الذي يكذبونه.

ولما تعرض لقوله تعالى {وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ}^{٨٢} في مسألة تعاقب الحروف_وستناولها بالتفصيل في موضعها_ أيد رأى الكوفيين، ورد رأى البصريين إلا إذا كان للتعاقب وجهٌ يميزه^{٨٣}.

ويؤيد الكوفيين أيضاً في دلالة معنى الفعل [مدّ] أو [أمدّ] باللف أو بغير ألف، وهى: الزيادة في الفعل {يَمُدُّهُمْ} وذلك قوله تعالى {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}^{٨٤}

يقول الطبري: وكان بعض نحوي البصرة يتأول ذلك أنه بمعنى يمد لهم، ويرغم أن ذلك نظير قول العرب: الغلام يلعب الكعاب، يراد به يلعب بالكعاب. قال: وذلك أنهم قد يقولون: قد مددت له وأمددت له في غير هذا المعنى، وهو قول الله تعالى ذكره: {وَأَمْدَدْنَاهُمْ} ^{٨٥}، وهذا من: مددناهم. قال: ويقال: قد مد البحر فهو ماد و أمد الجرح فهو ممد.

وحكي يونس الجرمي أنه كان يقول: ما كان من الشر فهو مددت، وما كان من الخير فهو أمددت. ثم قال: وهو كما فسرت لك، إذا أردت أنك تركته فهو مددت له، وإذا أردت أنك أعطيته قلت: أمددت.

وأما بعض نحوي الكوفة فإنه كان يقول: كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير ألف، كما تقول: مد الهر، ومده نهر آخر غيره، إذا اتصل به فصار منه، وكل زيادة أحدثت في الشيء من غيره فهو بألف، كقولك: أمد الجرح، لأن المدة من غير الجرح، وأمددت الجيش بمدد.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في قوله: ويمددهم: أن يكون بمعنى يزيدهم، على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم، كما وصف ربنا أنه فعل بنظرائهم في قوله "ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون" ^{٨٦}، يعني نذرهم ونتركهم فيه، ونملي لهم ليزدادوا إثماً إلى إثمهم. ولا وجه لقول من قال: ذلك بمعنى يمد لهم، لأنه لا تدافع بين العرب وأهل المعرفة بلغتها، أن يستحيزوا قول القائل: مد النهر نهر آخر، بمعنى: اتصل به فصار زائداً ماء المتصل به بماء المتصل من غير تأول منهم. وذلك أن معناه: مد النهر نهر آخر. فكذلك ذلك في قول الله: "ويمددهم في طغيانهم يعمهون" ^{٨٧}.

وفي قوله تعالى {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} ^{٨٨} يقول الطبري: وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة: أن "الذي" في قوله: {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ

ناراً}، بمعنى الذين، كما قال جل ثناؤه: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} ^{٨٩}، وكما قال الشاعر:

فَإِنَّ الَّذِي حَاطَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ ^{٩٠}

قال الطبري: والقول الأول ^{٩١} هو القول، لما وصفنا من العلة. وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين الذي، في الآيتين وفي البيت. لأن الذي في قوله: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ}، قد جاءت الدلالة على أن معناها الجمع، وهو قوله: " أولئك هم المتقون"، وكذلك الذي في البيت، وهو قوله _ (دماؤهم). وليست هذه الدلالة في قوله: {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا}. فذلك فرق ما بين "الذي" في قوله: "{كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا}"، وسائر شواهد التي استشهد بها على أن معنى "الذي" في قوله: "{كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا}" معنى الجماع. وغير جائز لأحد نقل الكلمة التي هي الأغلب في استعمال العرب على معنى إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها ^{٩٢}. وهناك مواضع كثيرة عرض فيها لرأى البصريين والكوفيين واختار رأى الكوفيين، نكتفى بالإحالة ^{٩٣} إلى بعضها.

رابعا: الآراء النحوية الخاصة بالطبري: وما يحسب له في ميزان آرائه وتحليلاته التي يخالف فيها بعض البصريين وبعض الكوفيين، ما تناوله عند تفسير قوله تعالى {لَيْسُوا سَوَاءً، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} ^{٩٤}

يقول الطبري: فقوله: {أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} مرفوعة بقوله: {مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}. وقد توهم جماعة من نحوي الكوفة والبصرة والمقدمين منهم في صناعتهم: أن ما بعد "سواء" في هذا الموضع من قوله: {أُمَّةٌ قَائِمَةٌ}، ترجمة عن "سواء" وتفسير عنه، بمعنى: لا يستوي من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة. وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى، ترك اكتفاءً بذكر إحدى الفرقتين، وهي الأمة القائمة، ومثلوه بقول أبي ذؤيب:

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ: إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ، فَمَا أَذْرِي أَرُشِدَ طِلَابِهَا ^{٩٥}؟

ولم يقل: أم غير رشد، اكتفاء بقوله: أرشد من ذكر أم غير رشد، ويقول الآخر:
أَرَاكَ فَلَا أَدْرِي أَهَمُّ هَمَمَتُهُ؟ وَذُو الْهَمِّ قَدْ مَا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ^{٩٦}

قال أبو جعفر: وهو مع ذلك عندهم خطأ قول القائل المرید أن يقول: سواء أقممت أم قعدت: سواء أقممت، حتى يقول: أم قعدت. وإنما يجوزون حذف الثاني فيما كان من الكلام مكتفياً بواحد، دون ما كان ناقصاً عن ذلك، وذلك نحو: ما أبالي أو ما أدري، فأجازوا في ذلك: ما أبالي أقممت، وهم يريدون: ما أبالي أقممت أم قعدت، لا اكتفاء ما أبالي بواحد، وكذلك في ما أدري. وأبوا الإجازة في سواء، من أجل نقصانه، وأنه غير مكثف بواحد، فأغفلوا - في توجيههم قوله: {لَيْسُوا سَوَاءً، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} على ما حكينا عنهم، إلى ما وجهوه إليه - مذهبه في العربية، إذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع سواء، وأخطأوا تأويل الآية. فـ"سواء" في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء، لا بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله:

قال أبو جعفر: وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك^{٩٧}، قول من قال: قد تمت القصة عند قوله: {لَيْسُوا سَوَاءً}، عن إخبار الله بأمر مؤمني أهل الكتاب وأهل الكفر منهم، وأن قوله: {مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ}، خبر مبتدأ عن مدح مؤمنيه ووصفهم بصفته، على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج^{٩٨}.. فعلى الرغم من انتماء الطبري إلى المذهب الكوفي فلم يكن يألو جهداً في الخوض بآرائه الفكرية المعللة والمحللة، والمؤيدة بالدليل النقلي أو العقلي في كثير من الأحيان.

من ذلك ما اتفق عليه النحاة من عدم وقوع الحال الجملة فعلاً ماضياً إلا بتقدير [قد] لفظاً أو معنى، وذلك قوله تعالى {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}^{٩٩} يقول الطبري: وكيف بمعنى التعجب والتوبيخ، لا بمعنى الاستفهام، كأنه قال: وَيَحْكُمُ كيف تكفرون بالله، كما قال: {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ}^{١٠٠}. وحل قوله: {وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} محل

الحال. وفيه ضمير قد^{١٠١}، ولكنها حذفت لما في الكلام من الدليل عليها. وذلك أن فعل^{١٠٢} إذا حلت محل الحال كان معلوماً أنها مقتضية قد، كما قال جل ثناؤه {أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ}^{١٠٣}، بمعنى: قد حصرت صدورهم. وكما تقول للرجل: أصبحت كثرت ماشيتك، تريد: قد كثرت ماشيتك^{١٠٤}. وفيها يتعرض لتحليل الدلالة اللغوية مؤيدا كلامه بالدليل النقلى من كتاب الله تعالى.

وفي قوله عز وجل: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^{١٠٥} يقول الطبري^{١٠٦}: وأما قول من قال: إن التقديس الصلاة أو التعظيم، فإن معنى قوله ذلك راجع إلى المعنى الذى ذكرناه من التطهير، من أجل أن صلاحها لربها تعظيم منها له، وتطهير مما ينسبه إليه أهل الكفر به.

ولو قال مكان: "ونقدس لك": "ونقدسك"، كان فصيحاً من الكلام، وذلك أن العرب تقول: فلان يسبح الله ويقدسه، ويسبح له بمعنى واحد، وقد جاء بذلك القرآن قال جل ثناؤه {كَمَىٰ نُسَبِّحُكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرُكَ كَثِيرًا}، وقال في موضع آخر {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}^{١٠٧}.

وفي قوله تعالى {قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ}^{١٠٨} يتعرض للقراءة الواردة في كلمة {مِصْرًا} و صرفها في الآية على قراءة ومنعها من الصرف على قراءة أخرى، وكتابة المصحف فيها، فلننظر إلى قوله: فأما القراءة، فإنها بالألف والتنوين: {اهْبِطُوا مِصْرًا}. وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها^{١٠٩}، لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين، واتفاق قراءة القراءة على ذلك. ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه، إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة، فيما جاءت به من القراءة مستفيضاً بينها. حتى إنه ينقل قبلها آراء العلماء ممن ذهبوا إلى أن المقصود بمصر أى

مصر من الأمصار، والذين قال: إنما مصر ذلك البلد المعروف دون غيره، ثم يقول: والذي نقول به في ذلك، أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين، ولا خبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع مجيئه العذر. وأهل التأويل متنازعون تأويله، فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بينه الله جل وعز في كتابه وهم في الأرض تائهون، فاستجاب الله لموسى دعاءه، وأمره أن يهيئ بمن معه من قومه قراراً من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك، إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار، وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه. وجائز أن يكون ذلك القرار مصر وجائز أن يكون الشام^{١١٠}.

فالتبرى لم يختار رأياً نحوياً على آخر، بل التزم الحياد وصوب الرأيين، والتوجيهين فيهما؛ ذلك لأن كلا الوجهين يمثل قراءة متواترة صحيحة، ولا مجال للمفاضلة بينهما.

وفي قوله تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}^{١١١} يعرض لمعنى {ما} هل تعجبية أم استفهامية ن ويختار ما يراه موافقاً للنظم فيقول: واختلفوا في تأويل ما ألتى في قوله: {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}. فقال بعضهم: هي بمعنى الاستفهام، وكأنه قال: فما الذي صبرهم؟ أي شيء صبرهم؟... وقال آخرون: هو تعجب. يعني: فما أشد جرائهم على النار بعملهم أعمال أهل النار! فمن قال: هو تعجب - وجه تأويل الكلام إلى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة"، فما أشد جرائهم - بفعلهم ما فعلوا من ذلك - على ما يوجب لهم النار! كما قال تعالى ذكره: {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}^{١١٢} تعجباً من كفره بالذي خلقه وسوى خلقه. فأما الذين وجهوا تأويله إلى الاستفهام، فمعناه: هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فما أصبرهم على النار - والنار لا صبر عليها لأحد - حتى

استبدلوها بمغفرة الله فاعتاضوها منها بدلاً؟ قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: ما أجرأهم على النار، بمعنى: ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم بأعمال أهلها. وذلك أنه مسموع من العرب: ما أصبر فلاناً على الله، بمعنى: ما أجرأ فلاناً على الله! وإنما يعجب الله خلقه بإظهار الخير عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، واشترائهم بكتمان ذلك ثمناً قليلاً من السحت والرشى التي أعطوها- على وجه التعجب من تقدمهم على ذلك. مع علمهم بأن ذلك موجب لهم سخط الله وأليم عقابه. وإنما معنى ذلك: فما أجرأهم على عذاب النار! ولكن اجتزى بذكر "النار"، من ذكر عذابها كما يقال: ما أشبه سخاءك بخاتم، بمعنى: ما أشبه سخاءك بسخاء حاتم، وما أشبه شجاعتك بعنزة^{١١٣}.

وفي قوله تعالى {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَيِّطَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً} ^{١١٤} يقول الطبرى: ودخلت اللام في قوله: "لَمَنْ"، وفتحت، لأنها اللام التي تدخل توكيداً للخبر مع [إن] كقول القائل: إن في الدار لمن يكرمك. وأما اللام الثانية التي في "لَيُبَيِّطَنَّ"، فدخلت لجواب القسم، كان معنى الكلام: وإن منكم أيها القوم لمن والله ليبيطن^{١١٥}. وهو ينتمى إلى التحليل التركيبى للنظم القرآنى.

وقد أكثر الطبرى من التحليل الدلالى لبعض الألفاظ داخل التراكيب القرآنية، وذلك في تحليله لـ [مَنْ] في قوله عز وجل {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} ^{١١٦} يقول الطبرى:

فإن قال لنا قائل: ما وجه دخول: "من" في قوله: "وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ"، ولم يقل: ومن يعمل الصالحات؟.

قل: لدخولها وجهان: أحدهما: أن يكون الله قد علم أن عباده المؤمنين لن يطيقوا أن يعملوا جميع الأعمال -الصالحات، فأوجب وعده لمن عمل ما أطاق منها، ولم

يجرمه من فضله بسبب ما عجزت من عمله منها قوته. والآخر منهما: أن يكون تعالى ذكره أوجب وعده لمن اجتنب الكبائر وأدى الفرائض، لأن قصر في بعض الواجب له عليه، تفضلاً منه على عباده المؤمنين، إذ كان الفضل به أولى، والصفح عن أهل الإيمان به أخرى.

وقد تقول قوم من أهل العربية، أنها أدخلت في هذا الموضع بمعنى الحذف، ويتأوله: ومن يعمل الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن.

وذلك عندي غير جائز، لأن دخولها لمعنى، فغير جائز أن يكون معناها الحذف^{١١٧}. انتهى كلام الطبرى. وقد احتج بدليل على عقلى، فما دخل لمعنى لا مجال لدلالة الحذف فيه.

وفى قوله تعالى {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِسَائِسَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}^{١١٨} يقول الطبرى: واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله: "إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ"، فقال بعض نحويي الكوفة: الذي جلب الباء في قوله: "بِحَبْلٍ"، فعل مضمر قد ترك ذكره. قال: ومعنى الكلام: ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا، إلا أن يعتصموا بحبل من الله، فأضمر ذلك، واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:

رَأَيْتُنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرَوْقُ

وقال: أراد: أقبلت بحبلَيْها، ويقول الآخر:

حَسَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَذْنُو لَصِيدِ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّدًا، أَكِّي بِقَيْدِ

يريد: مقيداً بقيد.

فأوجب إعمال فعل محذوف، وإظهار صلته وهو متروك. وذلك في مذاهب العربية ضعيف، ومن كلام العرب بعيد. وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات،

فغير دال على صحة دعواه، لأن في قول الشاعر: رأيتي بحبليها دلالة بينة في أنها رأته بالحبل ممسكاً. ففي إخباره عنها أنها رأته بحبليها، إخبار منه أنها رأته ممسكاً بالحبلين. فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الإمساك، وكانت الباء صلة لقوله: رأيتي، كما قول القائل: أنا بالله، مكتف بنفسه، ومعرفة السامع معناه، أن تكون الباء محتاجة إلى كلام يكون لها جالباً غير الذي ظهر، وأن المعنى: أنا بالله مستعين. وقال بعض نحوي البصرة، قوله: "إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ أَلَّهِ" استثناء خارج من أول الكلام. قال: وليس ذلك بأشد من قوله: "لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا" ١١٩.

وقال آخرون من نحوي الكوفة: هو استثناء متصل، والمعنى: ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، أي: بكل مكان، إلا بموضع جبل من الله، كما تقول: ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان.

وهذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل. وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل، ولو كان متصلاً كما زعم، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة. وليس ذلك صفة اليهود، لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس، أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس، فالذلة مضروبة عليهم، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل. فلو كان قوله: "إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ أَلَّهِ وَحَبْلِ مَنْ أَلَّاسِ" استثناء متصلاً، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم. وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم، وخلاف ما هم به من الصفة، فقد تبين أيضاً بذلك فساد قول هذا القائل أيضاً.

قال أبو جعفر: ولكن القول عندنا أن الباء في قوله: "إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ أَلَّهِ"، أدخلت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء مقتض في المعنى الباء. وذلك أن معنى قوله: "ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا" ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا، ثم قال: "إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ أَلَّهِ وَحَبْلِ مَنْ أَلَّاسِ" على غير وجه الاتصال بالأول،

ولكنه على الانقطاع عنه. ومعناه: ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس، كما قيل: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ"^{١٢٠}، فالخطأ وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء، فليس قوله باستثناء متصل بالأول. بمعنى: إلا خطأ، فإن له قتله كذلك، ولكن معناه: ولكن قد يقتله خطأ. فكذلك قوله: "أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ"، وإن كان الذي جلب الباء التي بعد "إلا" الفعل الذي يقتضيها قبل "إلا"، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله، بمعنى: أن القوم إذا لقوا، فالذلة زائلة عنهم؛ بل الذلة ثابتة بكل حال. ولكن معناه ما بينا آنفاً^{١٢١}.

فقد عرض لرأين كوفيين، وآخر بصرى، وخالف الآراء الثلاثة منتصراً لرأيه وعلته، إذ قال: إن الباء في قوله: "إلا بحبل من الله"، أدخلت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء مقتض في المعنى الباء، وعلل له ودلل له بأدلة عقلية وعقلية. ويعج تفسير الطبري بآرائه اللغوية، وتحليلاته النحوية، التي تدل على أن الطبري كان فقيهاً صاحب رأى فقهى، ولغوياً صاحب رأى لغوى^{١٢٢}.

ولاشك أن للطبري شخصيته التي لاتجزأ في تحليل النصوص والتعليق عليها، واستنباط الأحكام، فقد كان صاحب منهج في التحليل الفقهى، وهو عين منهجه في التحليل اللغوى والنحوى؛ فهو يعرض للآراء المختلفة، ويختار منها ما يوافق مذهبه، ويميل إليه فكره التحليلي، ويحلل مذهب ما يقبله وما يردده، وفيما أوردنا كفاية تغنينا عن الإعادة، ونكتفى هنا بالإحالة لبعض المواضع الثرية، والمليئة بتلك التحليلات اللغوية والفقهية، وفي القراءات القرآنية^{١٢٣}.

الفصل الثاني

تناوب الحروف في تفسير الطبري بين الرد والقبول

معاني [إلا]

[إلا] بمعنى [بل]

تكون [إلا] بمعنى [بل] كقوله تعالى {طه، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى} ^{١٢٤}، بمعنى: بل تذكرة لمن يخشى، ومنه قوله تعالى {وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا يُوعُونَ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} ^{١٢٥}، معناه: بل الذين آمنوا وعملوا الصالحات. ^{١٢٦}

أما قوله عز وجل {إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى} فيقول الطبري فيه: وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب تذكرة، فكان بعض نحوي البصرة يقول: قال: إلا تذكرة بدلاً من قوله {لتشقى}، فجعله: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة. وكان بعض نحوي الكوفة يقول: نصبت على قوله: ما أنزلناه إلا تذكرة. وكان بعضهم ينكر قول القائل: نصبت بدلاً من قوله "لتشقى"، ويقول: ذلك غير جائز، لأن "لتشقى" في الجحد، و"إلا تذكرة" في التحقيق، ولكنه تكرير، وكان بعضهم يقول: معنى الكلام: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى، لا لتشقى ^{١٢٧}.

فقد عرض لآراء إعراب قوله {تذكرة}، ومناطق إعرابه معنى {إلا} فمن وجهها للبدل اعتبر {إلا} بمعنى لكن، ومن وجهها للمفعول معه وهو الرأي الثاني اعتبر {تذكرة} مفعولاً له، فـ[إلا] على معناها من الاستثناء، وهو الاستثناء مفرغ، والرأي الآخر أن تكون {إلا} بمعنى [لا]، ولم يختار الطبري أياً منها.

[إلا] بمعنى [لكن]

تكون [إلا] بمعنى [لكن]، ويسمى ما يكون له كذلك الاستثناء المنفصل والاستثناء المنقطع... ^{١٢٨} ومثلوا لذلك بقوله تعالى {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ} ^{١٢٩}، معناه: ولكن من تولى وكفر.

وقيل في معنى قول الشاعر ^{١٣٠} [من الرجز]:

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ

أى: ولكن اليعافير، على مذهب من ينكر الاستثناء من غير الجنس.

ومن الباب قوله تعالى {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ} ^{١٣١} كان الفراء يقول: استثناء الشيء من الشيء ليس منه على الاختصار، من ذلك هذه الآية. انتهى كلام الفراء.

ثم قال: وفي كتاب الله {وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} ^{١٣٢} قال: هو مختصر، معناه: إلا أن يصيب الرجل اللمم، واللمم: أصغر الذنوب. والله عز وجل ثناؤه، لا يأذن في قليل الذنب ولا كثيره ^{١٣٣}. ومما جاء في شعر العرب قول أبي خراش ^{١٣٤}:

تَجَا سَالِمٌ وَالنَّفْسُ مِنْهُ بِشِدْقِهِ
وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفْنُ سَيْفٍ وَمِزْرًا
فاستثنى [الجفن] و[المِزْر]، وليسا من [سالم].

وأما قوله تعالى {لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} ^{١٣٥}، فقال قوم: أراد: إلا على الذين ظلموا فإن عليهم الحجة، ويكون حينئذ "الذين" في موضع خفض، ويكون أيضا على: ولكن الذين ظلموا فلا تخشوهم بتبذئة.

وقال: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} ^{١٣٦}، فهذا قد انقطع من الأول، ويجوز أن يكون على الاستثناء من أوله ^{١٣٧}.

وأما في قوله تعالى {إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ} ^{١٣٨} فيقول الطبري: وقوله: "إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ" يتوجه لوجهين: فذكر قومك يا محمد، إلا من تولى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله فكفر، فيكون قوله (إلا) استثناء من الذين كان التذكير عليهم، وإن لم يذكروا، كما يقال: مضى فلان، فدعا إلا من لا ترجى إجابته، بمعنى: فدعا الناس إلا من لا ترجى إجابته. والوجه الثاني: أن يجعل قوله: "إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ" منقطعاً عما قبله، فيكون معنى الكلام حينئذ لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر، يعذبه الله، وكذلك الاستثناء المنقطع يمتحن بأن يحسن معه إن، فإذا حسنت معه كان منقطعاً، وإذا لم تحسن كان استثناء متصلاً، كقول القائل: سار القوم إلا زيدا ولا يصلح دخول إن هاهنا لأنه استثناء صحيح ^{١٣٩}.

فقد اختار الأول، وهو كون [إلا] على باهما، ورفض أن تكون منقطعة، أى تفيد استئناف الحكم الذى تثبته [لكن]؛ وعلل ذلك بأن [إلا] لا تكون منقطعة إلا إذا صلح مكانها [إن]، وفي الآية المذكورة لا تجوز [إن] مكانها.

[إلى] بمعنى [فى]

تكون [إلى] بمعنى [فى] وذلك موقوف على السماع؛ لقلته، كقولك: جلست إلى القوم؛ أى: فيهم، ومنه قول النابغة^{١٤٠}:

فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ
يريد: فى الناس. وقال طرفة^{١٤١}:

وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ الْجَمِيعُ ثَلَاثِي إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْمُصَمَّدِ
أى: فى ذروة.

وقال ابن مالك: " ويمكن أن يكون منه {لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} ^{١٤٢}، وتأول بعضهم البيت على تعلق [إلى] بمحذوف؛ أى: مطلى بالقار مضافا إلى الناس، فحذف وقلب الكلام.

وقال ابن عصفور: هو على تضمين [مطلى] معنى [مبغض]، قال: ولو صح مجيء [إلى] بمعنى [فى] لجاز: زيدٌ إلى الكوفة^{١٤٣}.

وقد أبقاها الطبرى من خلال تفسيره للآية على باهما وذلك قوله: ليعثنكم من بعد مماتكم، وليحشرنكم جميعا إلى موقف الحساب الذى يجازى الناس فيه بأعمالهم، ويقض فيه بين أهل طاعته ومعصيته.^{١٤٤}

ويقول القرطبي^{١٤٥} إذ تعليقا على تلك الآية: ومعناه: فى الموت وتحت الأرض... وقال بعضهم: [إلى] صلة^{١٤٦} فى الكلام، ومعناه ليجمعنكم يوم القيامة.

ونحن نرى أن [إلى] على دلالتها، ذلك أن البداية هى الجمع الأول المتمثل فى البعث، والغاية هى موقف الحساب يوم القيامة، على ما ذهب إليه الطبرى فى تفسيره فكانت [إلى] أوفق للنظم، ولكن ما دعاهم إلى إجازة هذا التعاقب إلا معنى الظرفية الكائن فى [يوم].

[إلى] بمعنى [مع]

تكون [إلى] بمعنى [مع]، "وذلك إذا ضمنت شيئا إلى آخر، وبه قال الكوفيون، وجماعة من البصريين في {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} ^{١٤٧}، وقولهم: الذود إبل من ثلاثة إلى عشرة؛ والمعنى: إذا جمع القليل إلى مثله صار كثيرا، ولا يجوز: إلى زيد مال؛ تريد: مع زيد مال ^{١٤٨}."

وفي قوله تعالى {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} قال قوم: معناها: من يضيف نصرته إلى نصره الله جل وعز؟ فيكون بمعنى الانتهاء ^{١٤٩}.

ومثله قوله تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} ^{١٥٠} و [إلى] بمعنى لـ [مع] ومنه قوله تعالى {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} ^{١٥١}؛ أى: مع المرافق ^{١٥٢}. ومثله قوله تعالى {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} ^{١٥٣}؛ أى: مع شياطينهم ^{١٥٤}. واستدل هؤلاء بقول الأعشى ^{١٥٥}:

أَوْ بَيِّضَةٍ فِي الدَّغْصِ مَكْنُونَةٌ أَوْ دُرَّةٍ شِبَقَتْ إِلَى تَاجِرٍ

أى: مع تاجر. "ويقال: فلان عاقل إلى حسب ثاقب؛ أى: مع حسب" ^{١٥٦}. ومنه قول ابن مفرغ ^{١٥٧}:

شَدَخَتْ غُرَّةَ السَّوَابِقِ فِيهِمْ فِي وَجْهِهِ إِلَى اللَّمَامِ الْجِعَادِ

وقال ذو الرمة ^{١٥٨}:

بِهَا كُلُّ خَوَّارٍ إِلَى كُلِّ صَعْلَةٍ ضَهُولٍ، وَرَفَضُ الْمَذْرِعَاتِ الْقَرَاهِبِ

أى: مع كل صعلة. وقولهم: الذود إبل؛ أى: مع الذود ^{١٥٩}.

وقد قال الملقى: واعلم أن [إلى] إذا دخل ما بعدها فيما قبلها كانت بمعنى [مع] ^{١٦٠}. ومنه قول الشاعر ^{١٦١}:

يَسْأَلُونَ أَبْوَابَ الْقِبَابِ بِضُمِّرٍ إِلَى عَنِ مُسْتَوْتَقَاتِ الْأَوَاصِرِ

.... و [إلى] بمعنى [مع] .

وفي قوله تعالى {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} يقول الطبري: "فإن قال قائل: رأيت قوله {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} فكيف قيل: خلوا إلى شياطينهم ولم يقل: خلوا

بشياطينهم ؟ فقد علمت أن الجارى بين الناس^{١٦٢} فى كلامهم [خلوت بفلان] أكثر وأفشى من [خلوت إلى فلان]. ومن قولك: إن القرآن أفصح البيان. قيل: قد اختلف فى ذلك أهل العلم بلغة العرب، فكان بعض نحوى البصرة يقول: يقال: خلوت إلى فلان، إذا أريد به خلوت إليه فى حاجة خاصة، لايحتمل إذا قيل كذلك إلا الخلاء إليه فى قضاء الحاجة.

فأما إذا قيل: خلوت به احتمل معنيين: أحدهما الخلاء به فى الحاجة، والآخر فى السخرية به. فعلى هذا القول {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} لاشك أفصح منه لو قيل: إذا خلوا بشياطينهم؛ لما فى قول القائل: إذا خلوا بشياطينهم. من التباس المعنى على سامعيه الذى هو منتفٍ عن قوله {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} فهذا أحد الأقوال.

والقول الآخر أن توجه معنى قوله تعالى {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ}؛ أى: إذا خلوا مع شياطينهم؛ إذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضا كما قال تعالى مخبرا عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين {من أنصارى إلى الله} يريد: مع الله. وكما توضع [على] فى موضع [من] و [فى] و [عن] و [الباء] كما قال الشاعر:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَى بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا^{١٦٣}

بمعنى عنى.

وأما بعض نحوى أهل الكوفة فإنه كان يتأول أن ذلك بمعنى: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم، فيزعم أن الجالب لـ "إلى" المعنى الذى دل عليه من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم، لا قوله {خلوا} "^{١٦٤}.

تلك هى الآراء الثلاثة التى أوردها الطبرى، ثم يعلق على ذلك بقوله: "وعلى هذا التأويل لا يصلح [فى] موضع [إلى] غيرها؛ لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها، وهذا القول أولى عندى بالصواب؛ لأن لكل حرف من حروف

المعاني وجهها، هو أولى من غيره، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها، ولـ"إلى" في كل موضع دخلت من الكلام حكم، وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها"^{١٦٥}.

وإذا كان الطبري قد أعلن رده لتعاقب الحروف في مطلع هذا الموضع فقد أجازته في قوله تعالى {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} فقال: يعني بذلك: قال عيسى: من أعوانى على المكذبين بحجة الله، والمولين عن دينه، والجاحدين نبوة نبيه إلى الله عز وجل. ويعني بقوله {إِلَى اللَّهِ}: مع الله، وإنما حسن أن يقال: {إِلَى اللَّهِ} بمعنى: مع الله؛ لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره، ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر إذا ضم إليه جعلوا مكان [مع] [إلى] أحيانا، وأحيانا تحير عنهما بـ [مع]، فتقول: الذود إلى الذود إبل. بمعنى: إذا ضمنت الذود إلى الذود صارت إبلا، فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقلوه بـ [إلى]، ولم يجعلوا مكان [مع] [إلى]. غير جائز أن يقال: قدم فلان إليه مال. بمعنى: ومعه مال.

ومما نقله عن السدي قوله في قول الله تعالى {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} يقول: مع الله^{١٦٦}.

وقد نقل القرطبي في تفسيره قول السدي والثوري، وثني بالرأى القائل بأن المعنى: من أنصارى في السبيل إلى الله؛ لأنه دعاهم إلى الله عز وجل، وقيل المعنى: من يضم نصرته إلى نصره الله عز وجل. ثم يعلق القرطبي على ذلك بقوله: فـ[إلى] على هذين القولين على باهما، وهو الجيد^{١٦٧}

وأما قوله تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} فقال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: ولا تخططوا أموالهم. يعني أموال اليتامى بأموالهم فتأكلوها مع أموالكم وعن مجاهد في قوله {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} يقول: لا تأكلوا أموالكم إلى أموالهم، تخططوها فتأكلوها جميعا^{١٦٨}.

ويقول القرطبي: وقالت طائفة من المتأخرين: إن [إلى] بمعنى [مع] كقوله تعالى {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} وأنشد قول القتيبي:

يَسُدُّونَ أَبْوَابَ الْقَبَابِ بِضُمِّرٍ إِلَى غُنِّ مُسْتَوْتَفَاتِ الْأَوَاصِرِ

ثم يعلق على ذلك القرطبي بقوله: وليس بجيد، وقال الحذاق: [إلى] على باهما، وهى تتضمن الإضافة؛ أى: لاتضيفوا أموالهم وتضموها إلى أموالكم فى الأكل، فنهوا أن يعتقدوا أموال اليتامى كأموالهم فيتسلطوا عليها بالأكل والانتفاع^{١٦٩}.

فهل هناك تناقض بين كلام الطبرى حينما أيد عدم توجيه [إلى] لمعنى [مع] فى قوله {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} وبين إقراره لهذا التعاقب فى قوله {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} وقوله {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ}.

أقول [وبالله التوفيق]: ذلك أنه قال فى إجازة التعاقب ويعنى بقوله {إلى الله}: مع الله، وإنما حسن أن يقال: {إلى الله} بمعنى: مع الله؛ لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره، ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر إذا ضم إليه جعلوا مكان [مع] [إلى] أحيانا، وأحيانا تخير عنهما بـ [مع]، فتقول: الذود إلى الذود إبل. بمعنى: إذا ضمنت^{١٧٠} الذود إلى الذود صارت إبلا، فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بـ [إلى]، ولم يجعلوا مكان [مع] [إلى]. غير جائز أن يقال: قدم فلان، إليه مال. بمعنى: ومعه مال. فإذا جاز فى المعنى أن يضم الشيء إلى الشيء جاز صرف معنى [إلى] إلى [مع] فليس الأمر عنده مطلقا، ولذا مال فى الأولى إلى رأى بعض الكوفيين من رفض هذا التعاقب.

أما قوله تعالى {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} فهى آية من آيات الأحكام التى حدث فيها نوع خلاف بين الفقهاء وهذا نص ما أورده الطبرى

فقال: اختلف أهل التأويل فى المرافق. هل هى من اليد الواجب غسلها أم لا ؟

يُعَدُّ إجماع جميعهم على أن غسل اليد إليها واجب قال مالك بن أنس وسئل عن قول الله {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} أترى أن يخلف المرفقين

في الوضوء ؟ قال: الذى أمر به أن يبلغ المرفقين فقال تبارك وتعالى {فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ} فذهب يغسل خلفه.

ف قيل له: فإنما يغسل إلى المرفقين والكعبين ولا يجاوزهما ؟ فقال: لأدري،
لا يجاوزهما أما الذى أمر به أن يبلغ به فهذا إلى المرفقين والكعبين. وقال
الشافعى: لم أعلم مخالفا فى أن المرافق فيما يغسل كأنه يذهب إلى أن معناها: [فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى] أن تغسل [المرافق] حدثنا بذلك عنه
الربيع...^{١٧١}. "وقال آخرون: إنما أوجب الله تعالى بقوله {فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ} غسل اليدين إلى المرافق، فالمرفقان غاية لما أوجب الله غسله من آخر
اليد، والغاية غير داخلية فى الحد، كما غير داخل الليل فيما أوجب الله تعالى على
عباده من الصوم {ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}؛ لأن الليل غاية لصوم الصائم، إذا
بلغه فقد قضى ما عليه، قالوا: كذلك المرافق فى قوله {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} غاية لما أوجب الله غسله من اليد، وهذا قول زفر بن
الهذيل"^{١٧٢}.

والصواب من القول فى ذلك عندنا: أن غسل اليدين إلى المرفقين من الفرض
الذى إن تركه أو شيئا منه تارك لم تجزه الصلاة مع تركه غسله، فأما المرفقان وما
ورائهما فإن غسل ذلك من الذى ندب إليه صلى الله عليه وسلم أمته بقوله: "أمتى
الغرم المحجلون من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفع".
فلا تفسد صلاة تارك غسلهما وغسل ماورائهما لما قد بينا فيما مضى من أن ذلك
غاية حد بـ"إلى" فقد تحتمل فى كلام العرب دخول الغاية فى الحد وخروجها
منه، وإذا احتمل الكلام ذلك لم يجوز لأحد القضاء بأنها داخلية فيه، إلا لمن لا
يجوز خلافه فيما بينَ وحكم. ولا حكم بأن المرافق داخلية فيما يجب غسله عندنا
ممن يجب التسليم بحكمه^{١٧٣}.

وهكذا كان للحكم الفقهي أثر واضح في توجيه معنى [إلى]، فإذا لم يجاوز ما قبلها ما بعدها فهي على بائها، وإذا جاوز إلى ما بعدها كانت بمعنى [مع]، وذلك هو تحليل الطبرى.

[أم] بمعنى [بل]

تأتى على نوعين: متصلة ومنقطعة:

أما المتصلة: فتتضمن نوعين: أن تتقدم عليها همزة التسوية، نحو قوله تعالى {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} ^{١٧٤}... وأن تتقدم عليها همزة يُطلب بها وبـ [أم] النوعين، نحو: أزيد في الدار أم عمرو... أما المنقطعة فهي ثلاثة أنواع: مسبوقة بالخبر المحض، نحو {تَتَرِيلُ أَلَكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ أَلْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} ^{١٧٥}، ومسبوقة بهمزة غير الاستفهام نحو قوله تعالى {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا} ^{١٧٦}، إذ، الهمزة في ذلك للإنكار فهي بمنزلة النفي... و[أم] المنقطعة هي التي تعينها فهي التي يجوز أن تكون بمعنى بل، ولذا يقول ابن هشام: ومعنى أم المنقطعة الذي لا يفارقها الإضراب، ثم تارة تكون له مجردة...

ولذا يقول الطبرى في قوله تعالى {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} وقوله " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ " يقول تعالى ذكره يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه وتكذبه، و (أم) هذه تقرير، وقد بينا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدم بعضه أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا الموضع ^{١٧٧}.

وكذلك قال القرطبي في تفسيرها: " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ " هذه أم المنقطعة التي تقدر ببل وألف الاستفهام، أي بل يقولون. وهي تدل على خروج من حديث إلى حديث، فإنه عز وجل أثبت أنه تزيل من رب العالمين، وأن ذلك مما لا ريب

فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: "أم يقولون افتراه" أي افعله واختلفه. "بل هو الحق من ربك" كذبهم في دعوى الافتراء^{١٧٨}.

[أو] بمعنى [بل]، و بمعنى [الواو]

اتفق العلماء على معان مختلفة، ولكن من المعلوم أن العلماء على بعض معانيها، وبقیود وشرط محددة تبين معانيها.

ومن ذلك أنها قد للشك، ومثلوا لذلك بقوله تعالى {لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}^{١٧٩}، وقد تأتي للإبهام، وذلك نحو قوله تعالى {وَأَنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هٰذِي أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}^{١٨٠}، وقد تأتي للتخيير، وهى الواقعة بعد الطلب، وقبل ما يمتنع الجمع بينهما، وذلك نحو قولهم: تزوج فاطمة أو أختها. وقد تأتي للإباحة، وهى الواقعة بعد الطلب، وقبل ما يجوز فيه الجمع، نحو: جالس العلماء أو الزهاد، وقولهم: تعلم الفقه أو النحو. وقد تأتي لتدل على التقسيم كقولهم: الكلمة اسم وفعل وحرف.... فهى هنا للتفريق المجرد من الشك والإبهام والتخيير^{١٨١}.

وتلك المعانى الجملة لاختلاف فيها بين جمع العلماء، ولكن الخلاف حدث بين العلماء فى معنيين مختلفين، وفى مواضع من القرآن بعينها.

المعنى الأول الذى ذهب إليه بعض العلماء هو أن تكون بعنى الواو، فتفيد الجمع المطلق، والثانى: أن تفيد الإضراب وتكون عند ذلك بمعنى [بل]. على ما سنتناوله بالتفصيل

أولاً: أو بمعنى الواو وتفيد الجمع المطلق، وهو رأى بعض الكوفيين والأخفش والجرمى، واحتجوا بقول توبة:

وَقَدْ زَعَمْتَ لَيْلَىٰ بِأَنَّىٰ فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فَجُورُهَا^{١٨٢}

ومنه قول النابغة^{١٨٣}:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَىٰ حَمَامَتَنَا، أَوْ نِصْفَهُ فَقَدْ
فَحَسْبُوهُ فَأَلْفُوهُ كَمَا ذَكَرْتَ سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ

ويقويه أنه روى " ونصفه "^{١٨٤}.

ثانيا: [أو] تفيد الإضراب، وتكون بمعنى [بل] وقد أجاز سيويه ذلك بشرطين: أن يتقدمها نفى أو نهي، وإعادة العامل، ونحو: مقام زيد أو ما قام عمرو... ونقله عن سيويه ابن عصفور... وقال الكوفيون وأبو عل وأبو الفتح وابن برهان هي للإضراب مطلقا.

أما الآيات التي اختلف العلماء في توجيه معنى أو فيها، فهي قوله تعالى {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} ^{١٨٥}، وقوله تعالى {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} ^{١٨٦}، وقوله تعالى {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} ^{١٨٧}.

أما قوله تعالى {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}... فقد بدأ الطبري الإشارة إلى أن الأصل في [أو] أن تأتي للشك، كقوله تعالى {لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} فيسأل سؤالا: إنه إذا كان الأصل في [أو] أن تكون للشك، ولا يجوز أن ينسب الشك إلى الحق سبحانه في الآية المذكورة ؟

وقد عرض الطبري آراء العلماء في معنى [أو] في تلك الآية وفي غيرها من الآيات التي حدث فيها نوع خلاف في توجيه معناها، فوجهها فيما بعضهم إلى معنى الجمع المطلق، أي: بمعنى الواو، ومنهم من وجهها إلى معنى [بل] وآخر وجهها إلى معنى الإلهام ولكن على المخاطبين لاعلى المتحدث، واستدل على ذلك ببعض الشواهد الشعرية.

يقول الطبري: فإن سأل سائل فقال: وما وجه قوله: " فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً " و أو عند أهل العربية، إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك، والله تعالى جل ذكره غير جائز في خبره الشك؟ قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي توهّمته، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه، ولكنه خبر منه عن قلوبهم القاسية، أنها عند عباده الذين هم أصحابها، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة، عندهم وعند من عرف شأنهم.

وقد قال في ذلك جماعة من أهل العربية أقوالاً. فقال بعضهم: إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً، وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي بـ أو كقوله " وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ"، وكقول الله جل ذكره " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " الإيهام على من خاطبه، فهو عالم أي ذلك كان. قالوا: ونظير ذلك قول القائل: أكلت بصرة أو رطبة، وهو عالم أي ذلك أكل، ولكنه أهتم على المخاطب، كما قال أبو الأسود الدؤلي:

أَحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَدِيداً وَعَبَّاساً وَحَمَزَةً وَالْوَصِيَّ
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أَصْبَهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ

غِيّاً

قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حب من سمى رشد، ولكنه أهتم على من خاطبه به. وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له: شككت فقال: كلا والله ثم انتزع بقول الله عز وجل: " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"، فقال: أو كان شاكاً من أخير بهذا في الهادي من الضلال. وقال بعضهم: ذلك كقول القائل: ما أطعمتك إلا حلواً أو حامضاً، وقد أطعمه النوعين جميعاً. فقالوا: فقائل ذلك لم يكن شاكاً أنه قد أطعم صاحبه الحل والحامض كليهما، ولكنه أراد الخبر عما أطعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين. قالوا: فكذلك قوله: " فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً"، إنما معناه: فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثليين، إما أن تكون مثلاً للحجارة في القسوة، وإما أن تكون أشد منها قسوة. ومعنى ذلك على هذا التأويل: فبعضها كالحجارة قسوة، وبعضها أشد قسوة من الحجارة. وقال بعضهم: "أو" في قوله: " أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً"، بمعنى، وأشد قسوة، كما قال تبارك وتعالى: " وَلَا تُطِيعُ مِنْهُمْ عَائِشاً أَوْ كُفُوراً"^{١٨٨}، بمعنى: وكفوراً، وكما قال جرير بن عطية:

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ^{١٨٩}

يعني: نال الخلافة، وكانت له قدراً، وكما قال النابغة:

قَالَتْ: أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا، أَوْ نَصْفَهُ فَقَدْ

يريد: ونصفه. وقال آخرون: أو في هذا الموضع بمعنى بل، فكان تأويله عندهم: فهي كالحجارة بل أشد قسوة، كما قال جل ثناؤه: " وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ"، بمعنى: بل يزيدون. وقال آخرون: معنى ذلك فهي كالحجارة، أو أشد قسوة عندكم.

قال أبو جعفر: ولكل مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجه ومخرج في كلام العرب. غير أن أعجب الأقوال إلي في ذلك ما قلناه أولاً، ثم القول الذي ذكرناه عن وجه ذلك إلى أنه بمعنى: فهي أوجه في القسوة: إما أن تكون كالحجارة، أو أشد، على تأويل أن منها كالحجارة، ومنها أشد قسوة. لأن أو، وإن استعملت في أماكن من أماكن الواو حتى يلتبس معناها ومعنى الواو، لتقارب معنييهما في بعض تلك الأماكن فإن أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين. فتوجيهها إلى أصلها ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً أعجب إلي من إخراجها عن أصلها، ومعناها المعروف لها^{١٩٠}.

وقد عرض القرطبي في تفسير تلك الآية كل ما أورده الطبري من آراء في معنى [أو]، بل وشواهد شعرية، وتحليلها، وقد اختلف اللفظ فقط أما قوله تعالى {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} فلم يتناوله الطبري بالحديث عن تعاقب [أو] واكتفى بما أورده في الآيات السابقة.

أما القرطبي فقال فيها: ليس [أو] للشك، ب للتمثيل بأيهما أراد التمثيل، وقيل: أدخلت للشك، وقيل: [أو] بمنزلة [بل]^{١٩١}.

وأما قوله تعالى {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} فقال الطبري: يقول تعالى ذكره: فأرسلنا يونس إلى مئة ألف من الناس، أو يزيدون على مئة ألف. ثم ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله "أو": بل يزيدون.

وأورد ما يؤيد ذلك من رواية فقال حدثنا ابن بشار... عن ابن عباس، في قوله " وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ " قال: بل يزيدون، كانوا مئة ألف وثلاثين ألفاً^{١٩٢}.

ثم يقول:... وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك: معناه إلى مئة ألف أو كانوا يزيدون عنكم، يقول: كذلك كانوا عنكم^{١٩٣}.

وقد فصل القرطبي في ذلك أيضاً غير أن أورد كلاماً مفصلاً لآراء العلماء في هذا التوجيه بالرد أو القبول، فقال في نهاية تفسير تلك الآية قوله تعالى {أَوْ يَزِيدُونَ} قد مضى في {البقرة} محامل {أو} في قوله تعالى: "أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً". وقال الفراء: {أو} بمعنى بل. وقال غيره إنها بمعنى الواو، ومنه قول الشاعر:

فَلَمَّا اشْتَدَّ أَمْرُ الْحَرْبِ فِينَا تَأَمَّلْنَا رِيحاً أَوْ رِزَاماً

أي: ورزماً. وهذا كقوله تعالى {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ}، وقرأ جعفر بن محمد^{١٩٤} {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ وَ يَزِيدُونَ} بغير همز، فـ [يزيدون] في موضع رفع بأنه خير المبتدأ محذوف أي وهم يزيدون. النحاس: ولا يصح هذان القولان عند البصريين، وأنكروا كون [أو] بمعنى بل. ومعنى الواو، لأن بل للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده، وتعالى الله عز وجل عن ذلك، أو خروج من شيء إلى شيء وليس هذا موضع ذلك، والواو معناه خلاف معنى [أو] فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لبطلت المعاني، ولو جاز ذلك لكان وأرسلناه إلى أكثر من مائتي ألف أخصر. وقال المبرد: المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر، وإنما خطوب العباد على ما يعرفون. وقيل: هو كما تقول: جاءني زيد أو عمرو وأنت تعرف من جاءك منهم إلا أنك أجهت على المخاطب. وقال: الأخفش و الزجاج: أي أو يزيدون في تقديركم^{١٩٥}.

أما قوله تعالى {أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} ^{١٩٦} فهي على التخيير كما ورد عند الطبري في تفسير تلك الآية فقال قوله تعالى " أو زد عليه " يقول: أو

زد عليه، خيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خف ذلك عنهم^{١٩٧}.

[أن] بمعنى [لعل]

تكون [أن] بمعنى [لعل]، وذلك نحو قوله الله تعالى {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ}^{١٩٨}، والمعنى: لعلها إذا جاءت. وحكى الخليل: إئت السوق أنك تشتري لنا شيئاً بمعنى لعلك^{١٩٩}.

عرض الطبرى للخلاف بين العلماء في بيان المخاطبين تلك الآية بقوله: "وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ".

فقال بعضهم: خوطب بقوله: "وَمَا يُشْعِرُكُمْ" المشركون المقسمون بالله، لكن جاءتهم آية ليؤمنن، وانتهى الخبر عند قوله: "وَمَا يُشْعِرُكُمْ"، ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند مجيئها استئنافاً مبتدأ^{٢٠٠}.

ثم أورد ما يؤيد ذلك التفسير من قراءة {إِنَّهَا} أى بالكسر، فقال: وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف إنما، على أن قوله: إنما إذا جاءت لا يؤمنون، جبر مبتدأ منقطع عن الأول.

وممن قرأ ذلك كذلك، بعض قرأة المكيين والبصريين^{٢٠١}. وقال آخرون منهم: بل ذلك خطاب من الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قالوا: وذلك أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآية، المؤمنون به. قالوا: وإنما كان سبب مسألتهم إياه ذلك، أن المشركين حلفوا أن الآية إذا جاءت آمنوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: سل، يا رسول الله، ربك ذلك. فسأل، فأنزل الله فيهم وفي مسألتهم إياه ذلك: "قل" للمؤمنين بك يا محمد، "إنما الآيات عند الله وما يشعركم"، أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله، أنهم لا يؤمنون به، ففتحوا الألف من أن.

وممن قرأ ذلك كذلك، عامة قرأة أهل المدينة والكوفة. وقالوا: أدخلت "لا" في قوله: "لَا يُؤْمِنُونَ" صلة، كما أدخلت في قوله: " قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ " ٢٠٢، وفي قوله: " وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ " ٢٠٣، وإنما المعنى: وحرام عليهم أن يرجعوا، وما منعك أن تسجد.

ثم اختار القراءة بالفتح، وهى تلك القراءة التى أجاز بها كون {أَنْهَا} بمعنى {لعلها} فقال: وقد تأول قوم قرأوا، ذلك بفتح الألف من "كُنْهَا" بمعنى: لعلها. وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب ٢٠٤. وقد ذكر عن العرب سماعاً منها: اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئاً، بمعنى: لعلك تشتري.

وقد قيل: إن قول عدي بن زيد العبادي:

أَعَادِلْ، مَا يُذَرِّبُكَ أَنْ مَنِيتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى الْقَدِ

بمعنى: لعل منيتي. وقد أنشدوا بيت دريد بن الصمة:

ذَرِينِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ، لِأَنِّي أَرَى مَا تَرَيْنَ، أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدًا ٢٠٥

بمعنى: لعلني. والذي أنشدني أصحابنا عن الفراء: لعلني أرى ما ترين.

وقد أنشد أيضاً بيت توبة بن الحمير:

لَعَلَّكَ يَا تَيْسًا نَزَا فِي مَرِيرَةٍ مُعَذَّبُ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا ٢٠٦

لهنك يا تيساً، بمعنى: لأنك التي في معنى لعلك، وأنشد بيت أبي النجم العجلي:

قُلْتُ لِشَيْبَانَ آذُنٌ مِنْ لِقَائِهِ أَلَا نُعْذِي الْقَوْمَ مِنْ شَوَائِهِ ٢٠٧

بمعنى: لعلنا نغدي القوم.

ثم يختار الطبري ذلك الرأي صراحة فيقول: وأولى التأويلات في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله - أعني قوله: " وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ " - وأن قوله: " أَنَّهَا "، بمعنى: لعلها.

وإنما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لاستفاضة القراءة في قراءة الأمصار بالباء من قوله: "لا يؤمنون". ولو كان قوله: "وَمَا يُشْعِرُكُمْ" خطاباً للمشركين، لكانت القراءة في قوله: "لَا يُؤْمِنُونَ"، بالتاء، وذلك، وإن كان قد قرأه بعض قراءة المكين كذلك، فقراءة خارجة عما عليه قراءة الأمصار. وكفى بخلاف جميعهم لها دليلاً على ذهابها وشدوذها.

وإنما معنى الكلام: وما يدريكم، أيها المؤمنون، لعل الآيات إذ جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون، فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك، ولا يؤخروا به^{٢٠٨}.

[معاني الباء]

[الباء] بمعنى [إلى]

"تكون الباء للغاية بمعنى [إلى]، نحو قوله تعالى {وَقَدْ أَحْسَنَ بَيِّ} ^{٢٠٩}؛ أى: إلى، وقيل: ضمن {أحسن} معنى [لطف] ^{٢١٠}. ولم يشر لطبرى في تفسير تلك الآية إلى تناوب [الباء] عن [إلى]. غير أنه أقر في تفسيره للزوم الباء فقال: وقوله: "وَقَدْ أَحْسَنَ بَيِّ إِذْ أَخْرَجْنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ"، يقول جل ثناؤه، مخبراً عن قيل يوسف: وقد أحسن الله بي في إخراجي إياي من السجن الذي كنت فيه محبوساً، وفي مجيئه بكم من البدو. وذلك أن مسكن يعقوب وولده، فيما ذكر، كان ببادية فلسطين^{٢١١}. فلم لا تكون الباء للإلصاق؟ على معنى: ألصق الحسن بي؟

[الباء] بمعنى [على]

وتأتى "[الباء] بمعنى [على]، وذلك نحو قول عمرو بن قميئة^{٢١٢}:

بُودُكَ مَا قَوْمِي عَلَى أَنْ تَرَكْتَهُمْ سَلِيمِي إِذَا هَبَّتْ شِمَالٌ وَرِيحُهَا

أى: على ودك قومي، و [ما] زئدة ^{٢١٣}.

ومثله قوله تعالى {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ} ^{٢١٤}؛ أى: على دينار^{٢١٥}، بدليل قوله {قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ

قَبْلُ{^{٢١٦}، ونحو قوله تعالى {وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} ^{٢١٧} بدليل قوله تعالى {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} ^{٢١٨} وقد مضى. ومنه قول الشاعر ^{٢١٩}:
 أَرَبُّ يَبُولُ الثُّغْلَبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّغَالِبُ
 أى: على رأسه.

وقد أجاز الطبرى التعاقب بين الباء وعلى فى قوله تعالى {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا} فقال: فتأويل الكلام: ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه، يا محمد، على عظيم من المال كثير، يؤده إليك ولا يخنك فيه، ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه فلا يؤده إليك، إلا أن تلح عليه بالتقاضي والمطالبة. والباء فى قوله: "بدينار" و على يتعاقبان فى هذا الموضوع، كما يقال: مررت به، ومررت عليه ^{٢٢٠}.

وفى هذا التأويل إجازة من الطبرى للتعاقب فى قوله تعالى {وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ}.

[الباء] بمعنى [عن]

تفيد [الباء] معنى المجاورة ^{٢٢١} كـ [عن]، فقل: تختص بالسؤال نحو {فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا} ^{٢٢٢}، بدليل {يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ} ^{٢٢٣}. وقيل: لا تختص به، بدليل قوله تعالى {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} ^{٢٢٤} وقوله سبحانه {وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِأَلْغَمِّ} ^{٢٢٥}.

وجعل الزمخشري هذه الباء بمنزلة فى، فقال: ولما كان انتشاق السماء بسبب طلوع الغمام منها، جعل الغمام كأنه الذى تشقى به السماء، كما تقول: شق السنام بالشفرة، وانشق بها ^{٢٢٦}، على أن الغمام جعل كالآلة التى يشق بها، قال: ونظيره {السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ} ^{٢٢٧}.

وتأول البصريون {فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا} على أن الباء ... وزعموا أنها لا تكون بمعنى [عن] اصلا. وفيه بعد؛ لأنه لا يقتضى قولك: سألته بسببه أن المحرور هو

المسئول عنه. وعن ابن فارس^{٢٢٨}: الباء الواقعة موقع "عن" قولهم: سألت به، إنما أردت عنه، ومنه {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ} ^{٢٢٩}. ومنه: وَسَائِلَةٌ بِنُغْلَبَةٍ بْنِ سَيْرٍ ^{٢٣٠}

وقال الشاعر:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي بَصِيرٌ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ ^{٢٣١}

ومنه قول ابن أحرر:

تُسَائِلُ بَابِنِ أَحْمَرَ مَنْ تَرَاهُ أَغَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا ؟ ^{٢٣٢}

وأنشد الفراء:

دَعِ الْمُعَمَّرَ لَا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ وَاسْأَلْ بِمَصْقَلَةِ الْبَكْرِىِّ مَا فَعَلَا ^{٢٣٣}

وقال آخر:

وَلَا يُسْأَلُ الضَّيْفُ الْغَرِيبُ إِذَا شَتَا بِمَا زَخَرَتْ قِذْرِي لَهُ حِينَ وَدَّعَا ^{٢٣٤}

وقال آخر:

وَلَا سَابِقِي كَاشِحٍ نَازِحٍ بِذَخْلِ إِذَا مَا طَلَبْتَ ذُخُولَا ^{٢٣٥}

ويقول الطبري في قوله تعالى {فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا} فاسأل يا محمد خيرا بالرحمن، خيرا بخلقه، فإنه خالق كل شيء، ولا يخفى عليه ما خلق، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... عن ابن جريج قوله {فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا} قال يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتك شيئا، فاعلم أنه كما أخبرتك، أنا الخبير. ^{٢٣٦}

فلم يشر في هذا الموضع من قريب أو بعيد إلى تعاقب بين [الباء] و[عن]، بل أبقى الباء على بابها عند تفسير لتلك الآية، وتأولها على التقديم والتأخير. بيد أنه عند تفسيره لقول الله تعالى {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} أجاز التعاقب بين [الباء] و[في]. فقال: والباء في قوله {وبأيماهم} بمعنى [في]، وكان نحوى البصرة يقول: الباء في قوله {وبأيماهم} بمعنى: على أيماهم. ^{٢٣٧}

وكذلك نقل التعاقب دون تعليق في قوله تعالى {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ} فنقل قول ابن عباس: في تفسير تلك الآية: ذاك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو

واقع^{٢٣٨}. بل قال في نهاية تفسير تلك الآية: {لِّلْكَافِرِينَ} ^{٢٣٩}على الكافرين^{٢٤٠}.

فلم يكن الطبرى متعصبا لرأيه في هذا الباب، فهو يجيز التعاقب في موضع ويرده في آخر، ونلاحظ أيضا أن هذا التعاقب ورد مطردا مع الفعل [سأل] ومشتقاته، وذلك كما ورد في الآيات القرآنية، وفي الشواهد الشعرية، وما دعا إلى فرضية هذا التعاقب هو أن الفعل [سأل] يتعدى غالبا بـ[عن].

[الباء] بمعنى [في]

تكون [الباء] مكان [في]، وذلك نحو قول الأعشى^{٢٤١}:

مَابِكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسْؤَالِي، وَمَا تَرُدُّ سْؤَالِي

أى: في الأطلال.

ومثله قول الآخر^{٢٤٢}:

وَلَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَ السَّمَاءِ بِهِ مَقْلٌ رَقَّتْ لِلْهَجُوعِ

به؛ أى: فيه. وتقول: زيد بالبصرة، وعبد الله بالكوفة^{٢٤٣}، قال تعالى {أَنْ تَبْوءَ

لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا} ^{٢٤٤}؛ أى: في مصر.

ومثله قول الشاعر^{٢٤٥}:

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ

أى: فيها.

"ومثله قوله تعالى {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ} ^{٢٤٦}، وقوله تعالى {تَجِيئُ لَهُمْ

بِسَحَرٍ} ^{٢٤٧} أى: نصركم الله في بدر، ونجيناكم في سحر^{٢٤٨}.

أما جواز تعاقب [الباء] و[في] فراجع إلى جواز دلالتهما على الظرفية، وما هو

متعلق بهما يفيد الظرفية، ففي البيت الأول:

مَابِكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ

أى: فى الأطلال، والأطلال مكان، فجاز التعاقب، وكذلك قوله تعالى {أَنْ تَبُوءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُبُوتَا} أى: فى مصر وهو مكان. وقوله {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ} أى: فى بدر، وهو مكان، وقوله تعالى {لَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ} والسحر زمان. ولذا لا نجد تعليقا من الطبرى على تلك الآيات، بما يدل على جواز هذا التعاقب بين الحرفين، والله أعلم.

[الباء] بمعنى [اللام] من أجل

" [الباء] بمعنى [اللام] كقوله تعالى {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} ٢٤٩؛ أى: للحق. ولم يشر الطبرى فى تفسيره لتلك الآية إلى نوع تعاقب بين الحروف فقال وقوله: " مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ " يقول: ما خلقنا السماوات والأرض إلا بالحق الذي لا يصلح التدبير إلا به. وإنما يعنى بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة، يقول تعالى ذكره: لم نخلق الخلق عبثاً بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا، ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهي ٢٥٠. وقال لبید ٢٥١:

غُلِبَ تَشَدُّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدَى رَوَاسِيَا أَقْدَامُهَا
أى: من أجل الذحول ٢٥٢.

[الباء] للمصاحبة بمعنى [مع]

وتكون الباء للمصاحبة نحو قوله تعالى {أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا} ٢٥٣؛ أى: معه، وقوله تعالى {وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ} ٢٥٤.

وقد اختلف فى الباء من قوله {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ} ٢٥٥ فقيل: للمصاحبة و {الحمد} مضاف إلى المفعول؛ أى: فسبحه حامدا له؛ أى: نزهه عما لا يليق به، وأثبت له ما يليق به، وقيل: للاستعانة و {الحمد} مضاف إلى الفاعل؛ أى: سبحه بما حمد به نفسه، إذ ليس كل تزيه بمحمود، ألا ترى أن تسبيح المعتزلة اقتضى تعطيل كثير من الصفات ٢٥٦.

وفي رصف المباني^{٢٥٧}: الباء للمصاحبة، وهى التى تعطى معنى [مع] نحو قولك: جئت الجملة هنا ناقصة، قال تعالى {فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ} ^{٢٥٨}؛ أى: مع جنوده.

ويؤيده ما ورد فى هود {فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ} ^{٢٥٩} فجاءت بالواو. ومنه قول مُزَرَّد بن ضرار الديباني^{٢٦٠}:

وَعَهْدِي بِكُمْ تَسْتَنْقِعُونَ مَشَافِرًا مِنْ الْمَخْضِ بِالْأَضْيَافِ فَوْقَ الْمَنَاضِدِ
وعهدى بكم؛ أى: معكم. ومثله قولك: خرج بعشيرته، وقولك: دخل عليها بشياب السفر، واشترى الفرس بسرجه زلجامة^{٢٦١}.

ولو كانت الباء تعقبها [مع] فى قوله تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} لما استطعنا أن نؤول قول النبى صلى الله عليه وسلم: " سبحانك اللهم و بحمداك ". فكيف تكون الباء بمعنى [مع] وقبلها الواو؟.

أما قوله تعالى {فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ} فأرى أن تكون الباء فيه للواسطة. وظنى انه لو كانت الباء بمعنى [مع] لانتفى المقصود؛ ذلك أن [مع] تدل على استمداد الجنود قوتهم من فرعون، ولكن دقة الآية أن تكون الباء للواسطة لتدل على عجزه دون جنده، واعتماده عليهم الذى لم يغن عنه شيئا. والله أعلم.

ولم يشر الطبرى فى تفسيره لتلك الآية لتعاقب بين [مع] والباء.

أما قوله تعالى {وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ} فـ [مع] تفيد مجرد المصاحبة، ولكن دلالة الباء على الإلصاق أقوى وأدل، فقد دخلوا بالكفر، فهو ملتصق بهم، لا مجرد اصطحاب تدل عليه [مع]، ويدل على ما ذهبنا إليه أن الحق أشار لدخولهم بالكفر وخروجهم به أيضا فقال {وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ} والله أعلم.

ويؤيده ماورد فى تفسير الطبرى لتلك الآية فقال: يقول تعالى ذكره: وإذا جاءكم، أيها المؤمنون، هؤلاء المنافقون من اليهود قالوا لكم: "آمنّا"، أي صدقنا بما جاء به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم واتبعناه على دينه، وهم مقيمون على

كفرهم وضلالتهم، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم ويضمرونه في صدورهم، وهم يبدون كذباً التصديق لكم بألسنتهم، و"قد خرجوا به"، يقول: وقد خرجوا بالكفر من عندكم كما دخلوا به عليكم، لم يرجعوا بمحيثهم إليكم عن كفرهم وضلالتهم، يظنون أن ذلك من فعلهم يخفى على الله، جهلاً منهم بالله، "والله أعلم بما كانوا يكتمون"، يقول: والله أعلم بما كانوا -عند قلوبهم لكم بألسنتهم: (آمنّا بالله وبمحمد وصدقنا بما جاء به) - يكتمون منهم، بما يضمرونه من الكفر، بأنفسهم.

وفد أيد الطبري ماذهب إليه من تفسير بعدة روايات منها قوله: ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر بن معاذ... عن قتادة قوله: "وإذا جاؤوكم قالوا آمنا" الآية، أناس من اليهود، كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به، وهم متمسكون بضلالتهم والكفر. وكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند نبي الله صلى الله عليه وسلم.

وحدثني محمد بن الحسين... عن السدي: "وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به"، قال: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يهود. يقول: دخلوا كفاراً، وخرجوا كفاراً^{٢٦٢}.

أما قوله تعالى {قِيلَ يُونُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ} فالرأى أن تكون الباء للواسطة؛ إذ لو كانت الباء بمعنى مع ما أتبعها الحق سبحانه بقوله {وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ} ولذا قال الطبري في تفسيرها: يقول تعالى ذكره: يا نوح، اهبط من الفلك إلى الأرض، "بسلام منا"، يقول: بأمن منا أنت ومن معك، من إهلاكنا، "وبركات عليك"، يقول: وبركات عليك، "وعلى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ"، يقول: وعلى قرون تجيء من ذرية ومن معك من ولدك^{٢٦٣}.

[الباء] بمعنى [من]

تقول العرب ^{٢٦٤}: شربت بماء كذا؛ أى: من ماء كذا، قال تعالى {عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} ^{٢٦٥}؛ أى: منها.

ومثله قول عنتره:

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّخْرَضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفِرٍ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ ^{٢٦٦}

أى: شربت من ماء. ومثله قول الهذلى:

شَرِبْنَا بِمَاءِ الْبَحْرِ، ثُمَّ تَصَعَّدَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضِرَ لَهُنَّ نَيْجٌ ^{٢٦٧}

يقول الطبرى فى الآية: يعنى بقوله تعالى {عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} {يُرَوِّى هَا وَيَنْتَفِعُ. وقيل: يشرب بها ويشربها بمعنى واحد، وذكر الفراء أن بعضهم أنشده:

شَرِبْنَا بِمَاءِ الْبَحْرِ، ثُمَّ تَصَعَّدَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضِرَ لَهُنَّ نَيْجٌ ^{٢٦٨}

وعنى بقوله: "متى لجج" من؛ أى: إن "متى" بمعنى "من" ^{٢٦٩}.

[بل] بمعنى [لكن]

ذهب المالقى إلى أن [بل] قد تأتى حرف ابتداء، وذلك إذا لم يقع تشريك ما بعدها ومقابلها، وتكون عاطفة جملة على جملة، مضرب عن الأولى، نحو: اضرب زيداً، بل أنت قائم، قام زيد، بل عمرو منطلق.. وقد مثل لذلك بقوله تعالى {قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} ^{٢٧٠}، وقوله {صَ، وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} ^{٢٧١} فهذا حرف ابتداء لا غير ^{٢٧٢}... ثم يقول: فإذا دخلت "بل"، غهى حرف ابتداء كلام، وإضراب عن كلام مقدر، يخالف لما هى فيه ^{٢٧٣}.

أما قوله تعالى {قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا} فلم يشر الطبرى فيه صراحة إلى تعاقب، غير أنه أشار ضمناً إلى أنها بمعنى [لكن]، أى للاستدراك فقدر محذوفاً فقال: {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ}. التفسير وقوله "بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كذبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك

صديق محق، ولكنهم كذبوك تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم، يعني بشرا منهم من بني آدم، ولم يأثم ملك برسالة من عند الله^{٢٧٤}. وكذلك وجه الطبرى قوله تعالى {صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} فاختار تقدير محذوف في الكلام فقال: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة، وأن قوله "بل" لما دلت على التكذيب وحلت محل الجواب استغني بها من الجواب، إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك "ص والقرآن ذي الذكر" ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون: بل هم في عزة وشقاق^{٢٧٥}.

وقد قدر الأخفش في قوله تعالى {صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} يقدر كونها بمعنى [إن] فقال: [إن] [بل] ههنا بمعنى [إن]^{٢٧٦}.

[بل] بمعنى [هل] و [أم]

ومصدر هذا التوجيه قوله تعالى {بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ}^{٢٧٧}، فقد وردت فيها قراءات متعددة، أوردها الطبرى، ولكنه اختار أصحها، بل وما كان موافقا منها لخط المصحف، فقراءة [هل] مكان [بل]، وقراءة بـ [أم] مكان بل، وأخرى بـ [بلى] مكان [بل] في بحث طويل، وعلى غير عادته بدأ بعرض القراءات المختلفة فيها، بل وانتهى بها، واختار منها قراءتين، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أثر تلك القراءات في توجيه معنى بل، وقام بنقد القراءة بـ [بل]، حيث أشار إلى أن هل للاستفهام، و[بل] لإقرار ما بعدها مثبتا، فلنر تحليل الطبرى لتلك الآية. يقول الطبرى في ذلك: وقوله "بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ" اختلفت القراء^{٢٧٨} في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة "بَلِ أَدَارَكَ" بكسر اللام من بل وتشديد الدال من أدارك، بمعنى: بل تدارك علمهم أي تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا، ثم ادغمت التاس في الدال كما قيل: {أَتَأَقِلُّمُ إِلَى الْأَرْضِ}^{٢٧٩} وقد بينا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته. وقراءته عامة قراء أهل مكة (بَلِ أَدَارَكَ عِلْمُهُمْ

فِي الْآخِرَةِ) بسكون الدال وفتح الألف، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة. وكان أبو عمرو بن العلاء ينكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ (بَلِ ادَّارَكَ) ويقول: إن بل إيجاب والاستفهام في هذا الموضع إنكار. ومعنى الكلام: إذا قرئ كذلك (بَلِ ادَّارَكَ) لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة، وبلاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذي ذكرت أن أبا عمرو أنكره^{٢٨٠}.

وبنحو الذي ذكرت عن المكين أنهم قرؤوه ذكر عن مجاهد أنه قرأه، غير أنه كان يقرأ في موضع بل: أم... عن مجاهد، أنه قرأ (أم أدرك علمهم). وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقرأ بإثبات ياء في بل، ثم يتديء ادراك بفتح ألفها على وجه الاستفهام وتشديد الدال^{٢٨١}.

... عن أبي حمزة، قال: سمعت ابن عباس يقرأ (بَلَى ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) إنما هو استفهام أنه لم يدرك. وكأن ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه الاستهزاء بالمكذبين بالبعث.

والصواب من القراءات عندنا في ذلك القراءتان اللتان ذكرت إحداهما عن قراءة أهل مكة والبصرة، وهي (بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ) بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها، والآخرة منهما عن قراءة الكوفة، وهي "بل ادراك" بكسر اللام وتشديد الدال من ادراك، لأنهما القراءتان المعروفتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا، فأما القراءة التي ذكرت عن ابن عباس، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب، فخلافا لما عليه مصاحف المسلمين، وذلك أن في بلى زيادة ياء في قراءاته ليست في المصاحف، وهي مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قراء الأمصار. وأما القراءة التي ذكرت عن ابن محيصن، فإن الذي قال فيها أبو عمرو قول صحيح، لأن العرب تحقق ببل ما بعدها لا تنفيه، والاستفهام في هذا الموضع إنكار لا إثبات، وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة في شك، فقال "بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا" بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ".

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معناه: بل أدرك علمهم في الآخرة فأيقنوها إذ عاينوها.... وقال آخرون: بل معناه: بل غاب علمهم في الآخرة... وقال آخرون: معنى ذلك: لم يبلغ لهم فيها علم. وقال آخرون: معنى ذلك: بل أدرك: أم أدرك... وعن مجاهد (بل أدرك علمهم) قال: أم أدرك.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ (بل أدرك) القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وهو أن معناه: إذا قرئ كذلك " وما يشعرون أيان يبعثون " بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون.... وإنما قلت: هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على القراءة التي ذكرت، لأن ذلك أظهر معانيه. وإذا كان ذلك معناه كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه. وذلك أن معنى الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون، بل يشعرون ذلك في الآخرة، فالكلام إذا كان ذلك معناه، وما يشعرون أيان يبعثون، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة، بل هم في الدنيا في شك منها. وأما على قراءة من قرأه " بل ادرك " بكسر اللام وتشديد الدال، فالقول الذي ذكرناه عن مجاهد، وهو أن يكون معنى بل: أم، والعرب تضع أم موضع بل، وموضع بل: أم، إذا كان في أول الكلام استفهام، كما قال الشاعر:

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَسْلَمَى تَقَوَّلْتُ أَمْ التَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَيَّ حَبِيبُ

يعني بذلك بل كل إلى حبيب، فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون، بل تدارك علمهم في الآخرة...^{٢٨٢}

معاني [على^{٢٨٣}]

[على] بمعنى [الباء]

تكون [على] بمعنى [الباء]^{٢٨٤} وذلك نحو قول الشاعر^{٢٨٥}:

وَاللَّهِ لَوْلَا النَّارُ أَنْ تَصْلَاهَا أَوْ يَدْعُو النَّاسُ عَلَيْنَا اللَّهُ
لَمَّا سَمِعْنَا لِأَمِيرٍ قَاهَا مَا خَطَرَتْ سَعْدٌ عَلَيَّ قَنَاهَا

يريد ما تخطرت سعد بقناها، القاه: بمنزلة الجاه، ويقال: القاه: الطاعة. وتقول:
اركب على اسم الله؛ أى: باسم الله، ويقال: عُنْفَ عليه وبه.
وقول الشاعر:

شَدُّوا الْمَطْيَ عَلَى دَلِيلِ دَائِبٍ^{٢٨٦}

أى: بدليل.

وقول أبي ذؤيب:

وَكَاثَهُنَّ رَبَّابُهُ وَكَأَنَّهُ يُسَرُّ يَفِيزُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ^{٢٨٧}

وتقول على الاتساع^{٢٨٨}: مررت به. إذا جزته، وهو اسم فى نحو قوله:

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظَمُّهَا تَصِلُ وَعَنْ قِيضِ بَزَائِرَاءِ مَجْهَلٍ^{٢٨٩}

[على] [معنى] [فوق].

وفى المغنى^{٢٩٠}: و[على] تأتى موافقة للباء، نحو {حَقِيقٌ عَلَى} أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى
أَللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ^{٢٩١} وقد قرأ أبى بالباء^{٢٩٢}. وقرأ عبد الله بإسقاط {على}.

ولعل القراءة بالباء هى التى أجازت هذا التعاقب عند البعض، ولكن ينبغى أن
ينظر إلى هاتين القراءتين، على أنهما حرفان اتفقت الأمة وأجمعت على عدم
القراءة بهما، مما فهمى عثمان ابن عفان رضى الله عنه عن تداوله، وأصر عبدالله بن
مسعود على القراءة به، ليقينه _ وهذا صحيح _ أن هذا قراءة مرفوعة إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم، ولاينبغى نسخ أى منها^{٢٩٣}.

وقد عرض الطبرى للقراءتين دون أن يفاضل بينهما فقال: اختلفت القراءة فى
قراءة قوله: " حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق ". فقرأه جماعة من قراءة
^{٢٩٤} المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة: ((حقيق على أن لا أقول))، بإرسال
((الباء)) من ((على))، وترك تشديدها، بمعنى: أنا حقيق بأن لا أقول على الله إلا
الحق، فوجهوا معنى ((على)) إلى معنى ((الباء)) كما يقال: ((رمى بالقوس))
و((على القوس))، و((جئت على حال حسنة)) و((بحال حسنة)). وكان بعض
أهل العلم بكلام العرب يقول: إذا قرئ ذلك كذلك، فمعناه: حريص على أن

لا أقول، أو: فحق أن لا أقول. وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة: ((حقيق علي ألا أقول))، بمعنى: واجب علي أن لا أقول، وحق علي أن لا أقول. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراءة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب^{٢٩٥}.

وهكذا كانت صحة القراءتين من وجهة نظر الطبري سبيلا إلى إجازته لهذا التعاقب.

[على] بمعنى [عن]

يقال: رضيت عليك؛ أى: عنك، قال القحيف العقيلي^{٢٩٦}:

إِذَا رَضِيتُ عَلَى بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

أى: عنى^{٢٩٧}، ويقال: رمت على القوس؛ بمعنى: عنها. قال: أرمى عليها، وهى فرع أجمع، أعنى: عنها.

وقال آخر^{٢٩٨}:

لَمْ تَعْقِلَا جَفْرَةَ عَلِيٍّ وَلَمْ أُودِ صَدِيقًا، وَلَمْ أَتْلُ طَبْعًا

أى: عنى. وابن هشام^{٢٩٩}: يحتمل أن [رَضِيَ] صُمِّنَ معنى [عَطَفَ]، وقال الكسائي: حُمِلَ على نقيضه وهو [سَخِطَ]، وقال:

فِي لَيْلَةٍ لَا تَرَى بِهَا أَحَدًا يَحْكِي عَلَيْنَا إِلَّا كَوَاكِبُهَا

أى: عنا، وقد يقال: صُمِّنَ [يحكى] معنى [ينم].

-أما الفعل [رضى] فى القرآن فله صور متعددة ولم يرد فى القرآن الكريم كله متعديا بـ[على]، إذ ورد متعديا بـ[عن]، وورد متعديا بالياء، ومتعديا على قلة باللام.

-أما تعدى هذا الفعل بـ[عن] ففى قوله تعالى {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}^{٣٠٠}، وقوله تعالى {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}^{٣٠١}. ولم يرد فيها كلام لأن الأصل فى هذا الفعل أن يتعدى بـ[عن]

-وقد تعدى بالباء وذلك قوله تعالى {أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخِرَةِ} ٣٠٢، وقوله تعالى {إِنْ كُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} ٣٠٣، ولكنها هنا انتقلت إلى معنى آخر وهو أقبلتم أو أتمسكتم. وقوله تعالى {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَنِّيهِمْ وَلَا يَخْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُمْ كُلُّهُمْ} ٣٠٤.
-وتعدى في آيات أخرى باللام، وذلك قوله تعالى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} ٣٠٥، وقوله تعالى {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} ٣٠٦.

[على] بمعنى [في]

قد تأتي [على] بمعنى [في]، واستدل أصحاب ٣٠٧ هذا الرأي بقول الله تعالى {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ} ٣٠٨؛ أي: في ملك سليمان.
ومثله قوله تعالى {أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ} ٣٠٩؛ أي: في سفر، يقال: كان كذا على ملك فلان؛ أي: في ملكه وعهده. ومثله قوله تعالى {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا} ٣١٠.

ومنه قول أبي كبير الهذلي:

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَعْشَمٍ جَلَدٍ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرِ مُهَبِّلٍ ٣١١

أي: في الظلام. وفي قوله تعالى {عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ} يقول ابن هشام ٣١٢:
أي: في زمن ملكه، ويحتمل أن [تتلو] مضمن معنى [تقول]، فيكون بمزلة {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} ٣١٣.

أما قوله تعالى {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ} فقبل أن يشرع الطبري في الإشارة لهذا التعاقب بين [على] و[في] صراحة، أشار ضمنا خلال تفسيره لتلك الآية إلى أن [على] بمعنى [في] فقال:

والصواب من القول في تأويل قوله: " وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ " أن ذلك توبيخ من الله لأخبار اليهود.... وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله،

واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلتته الشياطين في عهد سليمان. وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع^{٣١٤}.

ثم أجاز هذا التعاقب صراحة فقال: القول في تأويل قوله تعالى: "عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ" يعني بقوله جل ثناؤه: على ملك سليمان في ملك سليمان وذلك أن العرب تضع في موضع على وعلى في موضع في، من ذلك قول الله جل ثناؤه: "ولاصلبكم في جذوع النخل" يعني به: على جذوع النخل، وكما قال: فعلت كذا في عهد كذا وعلى عهد كذا بمعنى واحد. وبما قلنا من ذلك كان ابن جريج وابن إسحاق يقولان في تأويله^{٣١٥}.

ثم أيد هذا الرأي بروايتين: إحداهما قوله: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج: على ملك سليمان يقول: في ملك سليمان.

ولعل ألطف ما سمعته فيهما جرى على لسان شيخنا، واتبعوا ما تلتوا الشياطين عن ملك سليمان، ولكن السؤال هل معنى: في ملك سليمان أضاف دلالة جديد، على أنه لاخلاف أنه كانوا في ملك سليمان.

أما قوله تعالى {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا} فيقول الطبري في تفسيرها: "ودخل" موسى "المدينة" مدينة منف من مصر "عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا" وذلك عند القائلة نصف النهار^{٣١٦}.

عموما فالفراء يميز هذا التعاقب فيقول: تصلح [على] و[في] في مثل هذا الموضع^{٣١٧}.

أما قوله تعالى {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ} فمعنى الظرفية في كلمة {حين} يميز تعاقب الحروف، فـ{على} أولى، فكأنه ركب الغفلة فأصبح آمنا لتحكمه فيها، أما إن قدرنا [في] فقد ينصرف المعنى إلى تمكن الغفلة منه، وليس ذلك هو المراد، والله أعلم

[على] بمعنى [اللام]

قد تأتي [على] بمعنى [اللام]، وذلك نحو قول الراعي^{٣١٨}:

رعته أشهراً وخلا عليها فطار النى فيها واستعارا
وقد مثل الزبيدي في تاج العروس^{٣١٩} لذلك بقوله تعالى {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ} ^{٣٢٠}

ولم يشر الطبري على التعاقب بين [على] و[اللام] صراحة، بل ضمن هذا التعاقب في تفسيره فقال: يعنى تعالى ذكره: ولتعظموا الله بالذكر له بما أنعم عليكم به من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم صوم شهر رمضان....^{٣٢١}

[على] بمعنى [مع]

تكون [على] بمعنى [مع]^{٣٢٢} وذلك نحو قول الشاعر^{٣٢٣}:

كأن مصفحات في ذراه وأنواحا عليهن المآلى
أى: كأن مصفحات على ذرى السحاب ن وأنواحا معهم المآلى. وقال
الشماخ^{٣٢٤}:

وبردان من خال وسبعون درهما على ذاك مقروظ من القدّ ماعزُ
ومثله قول الشاعر^{٣٢٥}:

إذا فرعوا طارت بأبيض صارم ورامت بما في جفْرِها ثم سلّت
وطارت: وثبت بسيف قاطع؛ أى: متقلدا سيفه، وهذا كما تقول: جاءنى في كذا؛ أى: عليه كذا، وجاءنى بكذا؛ أى: معه ذلك الشيء.
وقد مثل ابن هشام^{٣٢٦} بقول الله تعالى {وَأَتَىٰ أَمَّالَ عَلَىٰ حُبِّهِ} ^{٣٢٧}، وقوله تعالى {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ} ^{٣٢٨}.

ومنه فسر الحديث: " زكاة الفطر على كل حر وعبد صاع"، قال ابن الأثير^{٣٢٩}:
قيل: [على] هنا بمعنى [مع]؛ لأن العبد لا تجب عليه الفطرة، وإنما تجب على سيده^{٣٣٠}.

ومنه قوله تعالى {عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ} ^{٣٣١} جاء في التفسير: مع رجل منكم، كما تقول: جاءني الخير على وجهك، ومع وجهك ^{٣٣٢}.

لم يتناول الطبري تعاقب الحروف في تلك الآيات، غير أننا نرى أن دلالة الاستعلاء باستعمال [على] أولى من تقدير التعاقب فيها.

أما قوله تعالى {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ}، فإذا كان المعنى اللغوي للمغفرة هو التغطية، ومنها الغفار، وهو الدرع الذي يُغَطَّى به صدرُ الفارس، فإن [على] أقوى دلالة، والمعنى: أن الله يغطي بالمغفرة ظلم الناس لأنفسهم والله أعلم.

ومثله قوله تعالى {وَأَتَى الْوَيْلَ عَلَى حَبِّهِ}، إذ إنه أعطى المال وغطى هذا العطاء حبه للمال، فتعالى حبُّ العطاء، على شهوة حبه للمال، والله أعلم. فعلى هذا تكون [على] في بابها.

ولم يشر الطبري إلى هذا التعاقب في تلك الآية.

[على] بمعنى [من]

تأتي [على] بمعنى [من] ^{٣٣٣} نحو قول الله تعالى {الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} ^{٣٣٤} قال أبو عبيدة: أى: من قال صخر الغي ^{٣٣٥}:

مَتَى مَا تُنْكِرُوهَا تَعْرِفُوهَا عَلَى أَقْطَارِهَا غَلَقَ نَفِثُ

أى: من أقطارها.

ومنه قوله تعالى {مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ} ^{٣٣٦}؛ أى: استحق منهم. أما قوله تعالى {الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} فقد أجاز الطبري هذا التعاقب فقال: يقول تعالى ذكره: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حق، يستوفون فيكتالونه منهم وافيًا، و(على) و(من) في هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل: اكتلت منك، يراد: استوفيت منك.. ^{٣٣٧}

وذهب القرطبي أيضا إلى أن معنى [على] و[من] يتعاقبان فقال: قال الفراء: أى: من الناس، يقال: اكتلت منك؛ أى: استوفيت منك، ويقال اكتلت ماعليك؛ أى: أخذت ماعليك. وقال الزجاج: أى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا، أخذوا الزيادة، وإذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم^{٣٣٨}.

وقد أوجز ابن فارس معاني [على]، وذلك قوله: "تكون للعلو، فتقول: هو على السطح، وتكون للغرمة كما تكون: أنا على الحج العام، وتكون للثبات على الأمر تقول: أنا على ما عرفتني به. وتكون للخلاف مثل: زيد على عمرو؛ أى: مخالفه، وهى وإن انشعبت راجعة إلى أصل واحد.

معاني [عن]

[عن] بمعنى [الباء]

وتأتى [عن] بمعنى [الباء]، يقال: رميت عن القوس^{٣٣٩}؛ يعنى: بالقوس، ومنه قول امرئ القيس^{٣٤٠}:

تَصْدُ وَتُبْدَى عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَقَى بِنَظَرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفَلٍ

أى: تصد بأسيل. ومنه قوله تعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ} ^{٣٤١}؛ أى: بالهوى، ويقول ابن هشام: "والظاهرة أنها على حقيقتها، وأن المعنى: ما يصدر قوله عن هوى" ^{٣٤٢}.

ويقول القرطبي فيها: قال قتادة: وما ينطق بالقراءة عن هواه.. وقيل: "عن الهوى"؛ أى: بالهوى، قاله أبو عبيدة، كقوله تعالى {فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا}؛ أى: فاسأل عنه، قال النحاس: قول قتادة أولى، وتكون [عن] على بابها؛ أى: ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو وحى من الله عز وجل ^{٣٤٣}.

[عن] بمعنى [بعد]

وتكون [عن] بمعنى [بعد]، وذلك نحو قول امرئ القيس^{٣٤٤}:

تُؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ

أى: بعد تفضل. ومثله ما انشده ابن السكيت:

وَلَقَدْ شَبَّتِ الْحُرُوبُ فَمَا غَمَرَتْ فِيهَا قَلَصَتْ عَنْ حِيَالٍ^{٣٤٥}

أى: قلصت بعد حياها... وقولهم ورثه كابرًا عن كابر؛ أى: بعد كابر. قاله أبو على...

وقال الحارث بن عبّاد:

قَرَّبًا مَرَبِطَ التَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتْ حَرْبُ وَأَيْلٍ عَنْ حِيَالٍ^{٣٤٦}

أى: بعد حيال. ومثله ما ورد في تاج العروس:

سَيَعْلَمُ كُلُّهُمْ أَلَى مُسِنٍّ إِذَا رَفَعُوا عَنَّا عَنْ عَنَانٍ

أى: بعد عنان^{٣٤٧}. ومنه قوله تعالى {قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ}^{٣٤٨} وقوله تعالى {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}^{٣٤٩} بدليل أن في مكان آخر {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ}^{٣٥٠} ونحو قوله تعالى {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ}^{٣٥١}؛ أى: حال بعد حالة، ومنه قوله:

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ عَنْ مَنْهَلٍ^{٣٥٢}

أما قوله تعالى {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} فقد ضمن الطبرى الجملة فعلا آخر فقال: وأما تأويل قوله: "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"، فإنه يقول: يبدلون معناها ويغيرونها عن تأويله^{٣٥٣}.

وأما قوله تعالى {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} فقد أقر الطبرى في تفسيره هذا التعاقب وعرض لتفسيرها ما بين قول يذهب إلى أن معناها: حال بعد حال، وآخر سماء بعد سماء^{٣٥٤}، واختار أحد التفسيرين فقال: الصواب من التأويل قوله من قال: (لَتَرْكَبُنَّ) أنت يا محمد حالا بعد حال، وأمرًا بعد أمر من الشدائد^{٣٥٥}.

[عن] بمعنى [على]^{٣٥٦}

ومن ذلك ما قاله ذو الإصبع العدواني^{٣٥٧}:

لَا هَ ابْنِ عَمِّكَ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ عَنِّي، وَلَا أَتَى دِيَانِي فَتَخَزُونِي

أى: لم تفضل في حسب عليّ. ومنه قول قيس بن الخطيم^{٣٥٨}:

لَوْ أَنَّكَ تَلْقَى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا تَدَخَّرَجَ عَنْ ذِي سَامِهِ الْمُتَقَارِبِ

أى: على ذى سامه.

"ومثله قوله تعالى {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} ^{٣٥٩}؛ أى: قدمته عليه.

وقيل: هى على باهما، وتعلقها بحال محذوفة؛ أى: منصرفا عن ذكر ربى، وحكى الرمانى عن ابن عبيدة: أن أحببت من أحب البعير إجابا {إذا بك فلم يثره، فـ} [عن متعلقة به، باعتبار معناه التضمنين، وهى على حقيقته؛ أى: إني تثببت عن ذكر ربى، وعلى هذا فحب الخير مفعول لأجله"^{٣٦٠}.

وقد جرى الطبرى فى تفسير تلك الآية على الثانى فقال: وقوله "عَنْ ذِكْرِ رَبِّي" يقول: إني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربى وأداء فريضته...^{٣٦١}.

[عن بمعنى [فى]]

ومنه قول الشاعر:

وَأَسِ سَرَاةَ الْحَيِّ حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ وَلَآتُكَ عَنْ حَمَلِ الرِّبَاعَةِ وَإِنِّيَا^{٣٦٢}

الرباعية: نجوم الحَمَالَةِ، وقيل: لأن [وى] لا يتعدى إلا بـ [فى]، بدليل قوله تعالى {وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي}^{٣٦٣}، والظاهر أن معنى [وى] عن كذا، جاوزه ولم يدخل فيه، و [وى] فيه: دخل فيه.

أما قوله تعالى {وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} فإن [فى] أوفى دلالة من [عن] ذلك أنهم أصبحوا فى ذكر دائم حتى تمكن الذكر منهم فأصبحوا فى ذكر، فهو بينهم لاعتن البعد عن الذكر، ولكن بينهم عن التوائ أثناء ذكرهم، والخطاب للمؤمنين، فقد تمكن الظرف من المظروف، والله أعلم.

أما قوله تعالى {وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} فيقول الطبرى^{٣٦٤} فيه: اذهبوا إلى فرعون... فأبلغاه رسالاتي أولا تنيا فى ذكرى يقول: ولا تضعفا فى أن تذكراني فيما

أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما مني عليكم نعماً جمة، ومنناً لا تحصى كثرة. يقال منه: وى فلان في هذا الأمر، وعن هذا الأمر: إذا ضعف، وهويي ونياً، كما قال العجاج:

فَمَا وَئِي مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَرَ لَهُ الْإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ^{٣٦٥}

[عن] بمعنى [التعليل]

وذلك نحو قوله تعالى {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ} ^{٣٦٦}، ونحو قوله تعالى {وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ} ^{٣٦٧} ويجوز أن يكون حالا من ضمير {تاركى}؛ أى: ما نترك آلهتنا صادرين عن قولك، وهو رأى الزمخشري ^{٣٦٨}، وقال {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا} ^{٣٦٩} إن كان الضمير للشجر، فالمعنى حملها على الزلة لسببها، وحقيقته أصدر الزلة عنها، ومثله {وما فعلته عن أمري} وإن كان للجنة فالمعنى نَحَّأها عنها ^{٣٧٠}.

أما قوله تعالى {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ} فقد أقر الطبرى معنى السببية والتعليلية التى تحمله [عن] فقال: وقيل: "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة"، ومعناه: إلا من بعد موعدة، كما يقال: ((ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا))، بمعنى: من بعد ذلك السبب، أو من أجله. فكذلك قوله: "إلا عن موعدة"، من أجل موعدة وبعدها. ^{٣٧١}

وأظن أن هناك سبباً آخر يضاف إلى التوجه إلى [عن] دون [اللام]؛ ذلك السبب هو سبب صوتي؛ ذلك أنه لو قال: [إلا لموعدة] لاقتربت [لام] [إلا] من [لام] لموعدة، ولقربت [اللام] من [الميم] فى [لموعدة] وهو قربُ المخارج والصفات، بل ريمتاوحدتها، وهذا أمر ينأى عنه النظم الإلهى. والله أعلم.

معانى [فى]

[فى] بمعنى [إلى]

قد تأتي [في] بمعنى [إلى]، وذلك نحو قوله تعالى {فَرَدُّوْاْ أَيْدِيَهُمْ فِيْ أَفْوَاهِهِمْ} ^{٣٧٢}؛
أى: إلى أفواههم. ومثله قوله تعالى {فَتَهْجِرُوْا فِيْهَا} ^{٣٧٣}؛ أى: إليها ^{٣٧٤}.

أما قوله تعالى {فَتَهْجِرُوْا فِيْهَا} فالسؤال: هل خرجوا من الأرض حتى يعودوا
إليها؟ بطبيعة الحال لم يحدث هذا؛ ولذا قال الحق قبلها {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ
وَسِعَةً}، فالأرض هي الأرض على سعتها فهي أرض الله.

أما قوله تعالى {فَرَدُّوْاْ أَيْدِيَهُمْ فِيْ أَفْوَاهِهِمْ} فقد أورد الطبري آراء متعددة في
تفسيرها، فمن ذلك قوله: قال بعضهم: معنى ذلك: فعضوا على أصابعهم. وقال
آخرون: بل معنى ذلك: أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه، ووضعوا أيديهم
على أفواههم. وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم كذبوهم بأفواههم ^{٣٧٥}.

فقد تضمن أحد التوجيهات كون [في] بمعنى [على]، وى توجيه آخر ضمن
الفعل [ردوا] معنى الفعل [وضعوا]، فكانت [في] بمعنى [على] أيضاً، وفي توجيه ثالث
ضمن الجملة معنى الفعل [كذبوا] فكانت [في] بمعنى [الباء].

واختار الطبري هذا الرأي فقال: وكأن مجاهداً وجه قوله: "فَرَدُّوْاْ أَيْدِيَهُمْ فِيْ
أَفْوَاهِهِمْ"، إلى معنى: ردوا أيادي الله التي لو قبلوها كانت أيادي ونعماً عندهم،
فلم يقبلوها، ووجه قوله: "فِيْ أَفْوَاهِهِمْ"، إلى معنى: بأفواههم، يعني: بالسنتهم
التي في أفواههم.

وقد ذكر عن بعض العرب سماعاً: أدخلك الله بالجنة، يعنون: في الجنة، وينشد
هذا البيت.

وَأَرْغَبُ فِيْهَا عَنْ لَقِيْطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّيْ عَنْ سِنِيْسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

يريد: وأرغب بها، يعني بابتة له، عن لقيط، ولا أرغب بها عن قبيلتي. وقال
آخرون: بل معنى ذلك أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل، رداً عليهم
قولهم، وتكدياً لهم.

وقد أرجع بعضهم [في] إلى معنى [على]. وقال آخرون: هذا مثل، وإنما أريد
أنهم كفوا عما أمروا بقوله من الحق، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا. وقال: يقال

للرجل إذا أمسك عن الجواب فلم يجب: رد يده في فمه. وذكر بعضهم أن العرب تقول: كلمت فلاناً في حاجة فرد يده في فيه، إذا سكت عنه فلم يجب^{٣٧٦}.

وقد أيد القرطبي ما ذهب إليه الطبري من كون [في] بمعنى [إلى]، وذلك عند تفسيره لتلك الآية فقال:.... ومن ضمن المعاني التي عرض لها هي صرف [في] إلى معنى [إلى] فقال: وقال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم. وقال أبو صالح: إذا قال لهم نبيهم أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم: إن اسكت، تكذيباً له، ورداً لقوله، وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى. ثم يقول: و(في) بمعنى [الباء]، يقال: جلست في البيت وبالبيت، وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض^{٣٧٧}.

[في] بمعنى [على]

وقد استدل أصحاب هذا الرأي^{٣٧٨} بقوله تعالى {وَلَا صَلَّيْتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}^{٣٧٩}. وأنشدوا^{٣٨٠}:

وَهُمْ صَلَّوْا الْعَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا
أى: على جذع. وقال عنترة^{٣٨١}:

بَطْلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ يُخَذَى نَعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
أى: على سرحة من طوله. وفي المفضليات^{٣٨٢}:

كُمَيْتًا كَحَاشِيَةِ الْأَنْحَمِيِّ لَمْ يَدْعِ الصَّنْعُ فِيهَا غَوَارًا
أى: عليها. وقد ذهب الزمخشري إلى أن [في] بمعنى [على] "عَمَلٌ عَلَى الظاهر، والحقيقة أنها على أصلها؛ لتمكن المصلوب في الجذع تمكّن الكائن في الظرف [في]"^{٣٨٣}. و"كان بعضهم يقول: إنما قال {وَلَا صَلَّيْتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}؛ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور، فلذا جاز أن يقال فيه هذا"^{٣٨٤}.

وقد أجاز الطبري أن تكون [في] بمعنى [على] في تلك الآية فقال: وقوله: "وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" يقول: ولأصلبكنم على جذوع النخل، كما قال الشاعر:

وَهُمْ صَلَبُوا الْعَبْدَى فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْئَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا
يعني على جذع نخلة، وإنما قيل: في جذوع، لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها، ثم يصير عليها، فيقال: صلب عليها^{٣٨٥}. وقد مثل المبرد بقوله تعالى {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ؟} ^{٣٨٦}؛ أي: يستمعون عليه^{٣٨٧}.

وقد أجاز الطبري أيضا نيابة [في] عن [على] فقال الطبري في تفسير قوله تعالى {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ؟}: "فقال: أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء، يستمعون عليه الوحي^{٣٨٨}."

ثم يقول القرطبي: "يَسْتَمِعُونَ فِيهِ" أي عليه كقوله تعالى "فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" أي عليها قاله الأخفش وقال أبو عبيد: يستمعون به وقال الزجاج: أي: ألهم كجبريل الذي يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي^{٣٨٩}.

[في] بمعنى [عن]

تأتي [في] مكان [عن] كقوله تعالى {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ} ^{٣٩٠} تقول: في هذه الأيام^{٣٩١}.

غير أننا لانستطيع أن نقدر [عن]؛ لأنها تستعمل للعدول عن الشيء وعدم الرغبة فيه، فأنت تقول رغبت في الشيء. ثم تقول ما يخالفه في موضع آخر: رغبت عن الشيء. ولو قدرنا في الآية [عن] مكان [في] فقلنا: ومن كان عن هذه أعمى لصار الأمر مدحا لهم، وفي ذلك ميل عن مراد الحق سبحانه والله أعلم.

وعلى الرغم من أن الطبري لم يشر صراحة إلى تعاقب بين الحروف في تلك الآية، لكننا نلمح من تفسيره تلك الآية إبقاءه لـ [في] على باها، فقال في قولهم تعالى {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا} قال: من عمي عن شكر هذه النعم في الدنيا، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا^{٣٩٢}. وقال

آخرون: بل معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه، فهو قي الآخرة أعمى^{٣٩٣}.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتديرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضل سبيلاً^{٣٩٤}.

فقد أبقى الطبري [في] على باهما من الظرفية في قوله تعالى {فِي هَذِهِ أَعْمَى}، بيد أنه قدر [عن] ومعمولها في قوله: عن شكر هذه النعم... وقوله: عن قدرة الله فيها... وقوله: عن حجج الله.

[في] للتعليل^{٣٩٥}

وذلك نحو قوله تعالى {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ}^{٣٩٦}، وقوله تعالى {لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ} وفي الحديث [أَنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا]^{٣٩٧}. أما قوله تعالى {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} فإننا نلمح صرف معنى [في] إلى التعليل في قول الطبري: يقول تعالى ذكره: قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه، وفي نظره منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل وعزوب الفهم ولها، ألهتن حتى قطعتن أيديكن، هو الذي لمتني في حبي إياه، وشغف فؤادي به....^{٣٩٨}.

[في] بمعنى [مع]

في للمصاحبة^{٣٩٩} نحو قوله تعالى {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ}؛ أي: معهم، وقيل ادخلوا في جملة أمم، فحذف المضاف، وكذلك قوله تعالى {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ}؛ أي: ومثله قوله تعالى {فِي تِسْعِ آيَاتٍ}؛ أي: معهم، وقيل

أما قوله تعالى {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ} فقد أيد القرطبي فيه التعاقب، فقال: في قوله تعالى {ادخلوا في أمم}؛ أي: مع أمم، فـ[في] بمعنى [مع]، وهذا لا يمتنع؛ لأن

قولك: زيد في القوم؛ أى: مع القوم.... وقيل: هى على باهما؛ أى: ادخلوا في جملةهم 403.

ولم يتعرض الطبرى صراحة إلى تناوب حرف عن آخر في تلك الآية فقال: وهذا خير من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفتريين عليه، المكذبين آياته يوم القيامة. يقول تعالى ذكره، قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة: ادخلوا، أيها المفترون على ربكم، المكذبون رسله، في جماعات من ضربائكم.^{٤٠٤}

أما المشكل في قوله تعالى {قَالَ أَذْخُلُوا فِيَّ أُمَمٌ} فهو أن الدخول وفعله يتعدى بحرف الجر [في]؛ لأن الدخول لا بد أن يكون [في]، أما أن نصرف [في] لمعنى المصاحبة ففيه نظر، إذ لو كان الحق يريد معنى المصاحبة لقال: ادخلوا مع الأمم، كما قال تعالى في موضع آخر: {وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ} ^{٤٠٥} ولكنه لم يعدل عن [مع].

وأما قوله تعالى {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ} فلم لا يقال: إنه بعد أن دخل في المحراب ازداد رفعة وعلوا عليهم، وحينما خرج على قومه من المحراب كان أعلى منزلة من قومه عند ربه، أما إذا قلنا: مع قومه فهل كان قومه معه في المحراب، حتى نصرف [على] إلى المصاحبة؟

ويؤيد ما ذهبنا إليه ما أورده القرطبي من قوله: أما قوله {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ} ففيه خمس مسائل: الأولى: أى أشرف عليهم من المصلى، والمحراب أرفع المواضع، وأشرف المجالس، وكانوا يتخذون المحاريب فيما ارتفع من الأرض

الثانية: هذه الآية تدل على أن ارتفاع إمامهم على المأمومين كان مشروعاً عندهم في صلاتهم، وقد اختلف في هذه المسألة فقهاء الأمصار ^{٤٠٦}.

وكذا صرح الطبرى في تفسيره، فقال: يقول تعالى ذكره: فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد ^{٤٠٧}.

ثم يقول: الطبرى: فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه، ما: حدثنا القاسم... عن ابن جريج "فخرج على قومه من المحراب" قال: أشرف على قومه من المحراب^{٤٠٨}.

[الكاف] بمعنى [اللام]

قد تأتى [الكاف] بمعنى [اللام]، وقد أثبت ذلك قوم ونفاه الكثيرون، وقيد بعضهم جوازه بأن تكون [الكاف] مكفوفة بـ[ما]، كحكاية سيبويه: كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه.

والحق جوازه في المجردة من [ما]، نحو قوله تعالى {وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}^{٤٠٩}؛ أى: أعجب لعدم فلاحهم.

ومن المقرون بـ[ما] الزائدة، كما في المثال، وبـ[ما] المصدرية {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ}^{٤١٠}. قال الأنخفش: أى لأجل إرسالى فيكم رسولا منكم فاذكروني، وهو ظاهر في قوله تعالى {واذكروه كما هداكم}^{٤١١}، وأجاب بعضهم: بأنه من وضع الخاص موضع العام. ذكره الأنخفش والكوفيون^{٤١٢}. وقد رفض الطبرى ما ذهب إليه الأنخفش، وقال: بانقطاع {فاذكروني} عنه، وتعلق {كما أرسلنا} بما قبلها.

يقول الطبرى: في قوله تعالى {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ}.... فـ {كما} - إذ كان ذلك معنى الكلام - صلة^{٤١٣} لقول الله عز وجل: {وَلَا تَمَنَّيْ عَلَى كُفْرِهِمْ}. ولا يكون قوله: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ}، متعلقاً بقوله: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}. وقد قال قوم: إن معنى ذلك: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولا منكم أذكركم. وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، فأغرقوا الترع، وبعثوا من الإصابة، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف، وسوى وجهه المفهوم. وذلك أن الجاري من الكلام على ألسن العرب، المفهوم في خطابهم بينهم - إذا قال بعضهم لبعض: كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن - أن لا يشترطوا للآخر، لأن الكاف في كما شرط، معناه: افعَل كما فعلت. ففي مجيء جواب اذكروني بعده، وهو قوله: {أَذْكُرْكُمْ}، أوضح دليل على أن قوله: {كَمَا

أَرْسَلْنَا} من صلة الفعل الذي قبله، وأن قوله: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} خير مبتدأ منقطع عن الأول، وأنه - من سبب قوله: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ} - بمعزل. وقد زعم بعض النحويين أن قوله: {فَاذْكُرُونِي} إذا جعل قوله {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ} جواباً له، مع قوله: {أَذْكُرْكُمْ} نظير الجزاء الذي يجاب بجوابين، كقول القائل: إذا أتاك فلان فأته ترضه، فيصير قوله: فأته وترضه جوابين لقوله: إذا أتاك، وكقوله: إن تأتني أحسن إليك أكرمك. وهذا القول وإن كان مذهباً من المذاهب، فليس بالأسهل الأفصح في كلام العرب. والذي هو أولى بكتاب الله عز وجل أن يوجه إليه من اللغات، الأفصح الأعراف من كلام العرب، دون الأنكر الأجهل من منطقها. هذا، مع بعد وجهه من المفهوم في التأويل^{٤١}.

معاني اللام

[اللام] بمعنى [إلى]^{٤١٥}

تكون [اللام] بمعنى [إلى]، وذلك قياس؛ لأن [إلى] يقرب معناها من معنى [اللام]، وكذلك لفظها، ألا ترى إلى قوله تعالى {أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا}^{٤١٦}، و[هوى] يتعدى بـ [إلى]، وقوله تعالى {وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}^{٤١٧}، والهداية في المعنى: أوصلت المهدى إلى الصراط المستقيم، والوصلة موجودة في معنى [إلى] و[اللام]. ومنه قوله تعالى {فَاذْفَعُوا إِلَيْهِمْ}^{٤١٨}؛ أى: ادفعوا لهم، ومنه قوله تعالى {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}^{٤١٩} وقال أيضاً {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا}^{٤٢٠}. ومنه قوله تعالى {كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى}^{٤٢١} وقوله أيضاً {وَلَوْ رُدُّوا لَعَدُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}^{٤٢٢}. ولا خلاف بين المفسرين في هذا التعاقب.

[اللام] بمعنى [عن]

قد تأتى [اللام] بمعنى [عن]، واستدل أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ}^{٤٢٣}، قال ابن الحاجب، وقال ابن مالك وغيره: هى للتعليل^{٤٢٤}. وقيل: لام التبليغ، والتفتا عن الخطاب إلى

الغبية، أو يكون اسم المقول لهم محذوفاً؛ أى: قالوا لطائفة من المؤمنين لما سمعوا بإسلام طائفة أخرى.

وحيث دخلت اللام على غير المقول له، فالتأويل على بعض ما ذكرناه^{٤٢٥} {قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا}^{٤٢٦}، و{وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا}^{٤٢٧}. وقول الشاعر:

كَضَرَّائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوْ جَهَّهَا حَسَدًا وَبُغْضًا: إِنَّهُ لَذَمِيمٌ^{٤٢٨}

أما قوله تعالى {حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا} قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِبِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ^{٤٢٩}. ففيه أن [اللام] في قوله {لَأَوْلَاهُمْ} بمعنى [عن]، وما دعاهم لهذا التأويل إلا الانتقال من الخطاب الكائن لهم إلى خطاب المولى سبحانه.

فلو قال قالت أخراهم لأولاهم أنتم اضللتُمونا ما أولت [اللام] إلى [عن]، ولكن حدث لون التفات، والطبرى يقول في تفسيره لتلك الآية: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة في النار يوم القيامة، يقول الله تعالى ذكره: فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة في النار فاداركوا، قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار - الذين كانوا في الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفاً وإماماً في الضلالة والكفر - لأولاها الذين كانوا قبلهم في الدنيا: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك، ودعونا إلى عبادة غيرك، وزينوا لنا طاعة الشيطان، فأثم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا^{٤٣٠}.

ولم يشر الطبرى لتعاقب بين [اللام] و[عن].

لم لا يكون الوقف على {لَأَوْلَاهُمْ} في قوله {قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ}؟! ويكون قولهم محذوفاً تقديره: قالت أخراهم لأولاهم اللعنة عليكم، وقد سبق في الآية نفسها، ثم استأنفوا دعاء لله: ربنا.

والحق قال في أول الآية {قَالَ أَذْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ}، ثم حدث الدعاء منهم في آخر الآية. هذا والله أعلم.

وقد تكررت اللام في الآية التالية، فلماذا ظلت على باهما، ولم يحكم احد من العلماء بنيابتها [عن]؛ ذلك لأن الحوار لم يحدث فيه التفات إلى الحق سبحانه بل كان الحوار بين الطائفتين فقال تعالى {وَقَالَتْ أُولَٰئِهِمْ لِإِخْرَاجِهِمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}.

فـ[اللام] فيها على باهما لعدم حدوث التفات.

وأما قوله تعالى {وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا} ^{٤٣١}. فقد قيل — كما بينا: — إن [اللام] في {لِلَّذِينَ تَزْدَرِي} بمعنى {عن}. بيد أننا لو استعرضنا نسق الآيات السابقات لوجدنا أنه يقوم على الخطاب بين نوح عليه السلام وقومه، فيقول الحق في ذلك: {وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ، وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ^{٤٣٢}

لِمَ لا يكون التقدير — والله أعلم —: ولا أقول للذين تزدري أعينكم ما تقولون من أن الله لن يأتيهم خيرا؟.. فقد حدث لون التفات، فيه صرف من سيدنا نوح عن أن يكون الخطاب منه لهم، بل كأنه ينقل كلام الكفار والمشركين مثبتا بحديث الغيبة أنه على ألسنتهم لاعلى لسانه والله أعلم.

ويؤيد ما ذهبنا إليه قول الطبري في تفسير قوله تعالى {وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا}، يقول: ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحده، الذين تستحقهم أعينكم، وقتلتهم: إنهم أراذلكم، "لن يؤتيهم الله خيرا"، وذلك الإيمان بالله، "الله أعلم بما في أنفسهم"، يقول: الله أعلم بضمائر صدورهم، واعتقاد قلوبهم، وهو ولي أمرهم في ذلك، وإنما لي منهم ما ظهر وبدا، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعوني، فلا أطردهم ولا أستحل ذلك، "إني إذا لمن الظالمين"، يقول: إني إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديقي: "لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا"، وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم لي، على غير

علم مني بما في نفوسهم، وطردهم بفعلي ذلك، لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله، المعتدين ما أمرهم الله به، وذلك هو الظلم^{٤٣}.

-ومثله قوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}^{٤٤}. فقد قيل إن [اللام] في قوله {لِلَّذِينَ آمَنُوا} بمعنى [عن] وقد دعاهم إلى هذا التأويل الالتفات من الخطاب {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا} إلى الغيبة {لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} لو قال: لو كان خيراً ما سبقتمونا إليه ما قدرت [عن] مكان [اللام].

ويؤيد ما ذهبنا إليه من توجيه قول الطبري: وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً على ما جاءكم به خيراً، ما سبقتمونا إلى التصديق به^{٤٥}.

[اللام] بمعنى [عند]

واستدل أصحاب^{٤٦} هذا الرأي بقوله تعالى {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذَّكَاءِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ}^{٤٧}؛ أى: عند دلوها. وكذلك قوله تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}^{٤٨}، وقال ابن هشام: تكون [اللام] بمعنى [عند] كفولهم: كتبه لخمس خلون، وجعل منه ابن جني قراءة^{٤٩} الجحدري {بَلْ كَذَّبُوا بِآلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ}^{٥٠} بكسر اللام وتخفيف الميم^{٥١}.

وقد أشرنا من قبل إلى أن هناك بعض العلماء استدل بهاتين الآيتين على أن [اللام] بمعنى [بعد]، ويقول الطبري في تأويل ذلك: واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك:

فقال بعضهم: معنى ذلك أقم الصلاة لي، فإنك إذا أقمتها ذكرتني. وأورد الطبري قول مجاهد: إذا صلى ذكر ربه. قال آخرون: بل معنى ذلك: وأقم الصلاة حين ذكرى واستدل بقول سفيان: يصليها حين يذكرها

وقد رد الطبري تأويل [اللام] إلى معنى [حين] أو [عند] فقال: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر

معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التزليل: أقم الصلاة لذكرها. وفي قوله "الذكرى" دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك^{٤٢}. فقد صرفها إلى معنى [اللام]، التي تحمل معنى السبب.

[اللام] بمعنى [في]

تكون [اللام] بمنزلة [في]^{٤٣}، ومنه قوله تعالى {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}؛ أي: في أول الحشر. ومثله قوله تعالى {وَنَضْعُ الْمَوْزِينَ أَلْقِصْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}؛^{٤٤}. وفي قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} لم يتحدث الطبري في تعاقب بين الحروف صراحة، غير أنه وجه خلال تفسيره اللام إلى بابها فقال: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ" الله الذي أخرج جحدوا نبوه محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير من ديارهم، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم، حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذرائعهم، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، يخلوا له دورهم، وسائر أموالهم، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر، فذلك قوله الله عز وجل "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ"....^{٤٥} ثم يقول: وقوله: "لِأَوَّلِ الْحَشْرِ" يقول تعالى ذكره: لأول الجمع في الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام...^{٤٦}

وكذا فسر القرطبي [اللام] في تلك الآية، فقال: قوله تعالى: {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} الحشر الجمع، وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا وحشران في الآخرة، أما الذي في الدنيا فقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ" قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان أول حشر

حشروا في الدنيا إلى الشام. قال ابن عباس و عكرمة: من شك أن المحشر في الشام فليقرأ هذه الآية: "

وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: اخرجوا قالوا إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر. " قال قتادة هذا أول المحشر. قال ابن عباس: هم أول من حشر من أهل الكتاب وأخرج من دياره. وقيل: إنهم أخرجوا إلى خيبر، وأن معنى "لأَوَّلِ الْحَشْرِ" إخراجهم من حصونهم إلى خيبر وآخره إخراج عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إلى نجد وأذرعات. وقيل تيماء وأريحاء، وذلك بكفرهم ونقض عهدهم...^{٤٤٨}

أما قوله تعالى {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} فقد صرح الطبري بوجه التعاقب بين [إلى] و [في]، فقال: وقوله: "لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" يقول: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه. وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى في كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة....^{٤٤٩}

ولكن السؤال الذي يعرض نفسه، هل وَضَعُ الميزان يكون في يوم القيامة، أم إنه أُعِدَّ بمقتضى قوله سبحانه {إِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}؟^{٤٥٠}، أى إنه جهاز من أجل يوم القيامة، ومن ثم فنحن نختار كون [اللام] على أصلها من العلة والغاية، والله أعلم.

[لعل] بمعنى [كى]

وتكون [لعل] بمعنى [كى] ^{٤٥١}، وذلك نحو قوله تعالى {وَأَنهَاراً وَسَبَّأً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ^{٤٥٢}؛ يريد: كى تهتدوا.

"وهى في ذلك بمعنى التعليل، وقد أثبتته جماعة، منهم الأخفش والكسائي، وحملوا عليه {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} ^{٤٥٣}، ومن لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء، ويصرفه للمخاطبين؛ أى: اذهبا على رجائكما ^{٤٥٤}

ولم يشر الطبري إلى تعاقب في الآية الأولى، ولكنه تحدث فيما يوازيها من آية وذلك في تفسير قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ٤٥

يقول الطبري: القول في تأويل قوله: " لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ". وتأويل ذلك: لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذي خلقكم، وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه، وإفرادكم له العبادة لتتقوا سخطه وغضبه أن يحل عليكم، وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم.

وكان مجاهد يقول في تأويل قوله: " لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ": تطيعون. حدثنا ابن وكيع... عن مجاهد، في قوله: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "، قال: لعلكم تطيعون.

ثم يعلق الطبري على ذلك بقوله: والذي أظن أن مجاهدًا أراد بقوله هذا: لعلكم أن تتقوا ربكم بطاعتكم إياه، وإقلاعكم عن ضلالتكم.

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: فكيف قال جل ثناؤه: " لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "؟ أو لم يكن عالمًا بما يصير إليه أمرهم إذا هم عبدوه وأطاعوه، حتى قال لهم: لعلكم إذا فعلتم ذلك أن تتقوا، فأخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم إياه مخرج الشك؟

قيل له: ذلك على غير المعنى الذي توهمت، وإنما معنى ذلك: اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم، لتتقوه بطاعته وتوحيده وإفراده بالربوبية والعبادة، كما قال الشاعر:

وَقُلْتُمْ لَنَا: كُفُّوا الْخُرُوبَ، لَعَلَّنَا نَكْفُ! وَوَقَّعْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقٍ ٤٦

فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهْدُكُمْ كَلَمَحِ سَرَابٍ فِي الْفَلَا مُتَأَلِّقٍ ٤٧

يريد بذلك: قلتم لنا كفوا لنكف. وذلك أن لعل في هذا الموضع لو كان شكًا، لم يكونوا وثقوا كل موثق.

فقد أشار في هذا الموضع إلى أنها بمعنى اللام التعليلية، ومن ثم تلتقى مع [كى] في التعليل ٤٨.

[لكن] بمعنى [الواو]

"وقد تكون [لكن] حرف ابتداء، إذا كان بعدها المبتدأ كـ [الواو] و [بل] و [ثم]، نحو جاء زيد لكن عبد الله منطلق، ومعناها في جميع ذلك الاستدراك، ويكون معناها الإضراب إذا كانت حرف ابتداء" ^{٤٥٩}، كقوله تعالى {لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} ^{٤٦٠}.

وقد ذهب الطبرى في تفسير قوله تعالى {لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ} ^{٤٦١} إلى أن {لكن} للابتداء، فقال فيها: يعني بقوله جل ثناؤه: "لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ"، لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته، في العمل بما أمرهم به، واجتناب ما نهاهم عنه، "لهم جنات" يعني: بساكنين.... ^{٤٦٢}

وكذلك فعل في تفسير قوله تعالى {لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ} ^{٤٦٣}، فقال: وقوله "لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ" يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف... ^{٤٦٤}

[لو] بمعنى [إن]

قال الفراء: "[لو] تقوم مقام [إن] الخفيفة، كما قال تعالى {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} ^{٤٦٥}، ولو أنها بمعنى [إن] لاقتضت جواباً؛ لأن [لو] لا بد لها من جواب ظاهر، أو مضمون مضمّر كقوله {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّيْنٌ} ^{٤٦٦}، وإنما وضعت مقام "إن"؛ لأن في كل واحد منهما معنى الشرط، كما يقال في الكلام: لأكرمك وإن جفوتني ولو جفوتني، ولأعطينك وإن منعتني ولو منعتني" ^{٤٦٧}.

ولم يشر الطبرى إلى نوع تعاقب في الآيتين السابقتين، وإنما أبقى خلال تفسيره ^{٤٦٨} [لو] على أصلها دون تعاقب.

[لولا] و[لوما] بمعنى [هلاً]

قد تكون [لولا] بمعنى [هلاً] كقوله تعالى {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} ٤٦؛
أى: فهلاً.

ومن ذلك قول الشاعر:

تَعْدُونَ عَفَرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنَى صَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيِّ الْمُقَنَّعَا
أى: هلاً. وأما [لولا] الأولى فكقوله تعالى {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ
فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} ٧٠، وقوله تعالى {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ} ٧١، فلها
وجهان:

أحدهما: أن يكون بمعنى [هلاً]. والوجه الآخر: أن يكون بمعنى [لم]، يقول: فلم
تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس.

ومثله قوله تعالى {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ} ٧٢، بمعنى لم يكن ٧٣.

أما قوله تعالى {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} فيقول الطبري فيه: ومعنى:
"فلولا"، في هذا الموضع، فهلاً. والعرب إذا أولت (لولا) اسماً مرفوعاً، جعلت ما
بعدها خبراً، وتلقته بالأمر، فقالت: (لولا أخوك لزرتك) و(لولا أبوك
لضربتك)، وإذا أولتها فعلاً، أو لم تولها اسماً، جعلوها استفهاماً فقالوا: (لولا
جئتنا فنكرمك) و (لولا زرت أخاك فترورك)، بمعنى: (هلاً)، كما قال تعالى
ذكره: {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ} ٧٤. وكذلك تفعل بـ(لوما)
مثل فعلها بـ(لولا) ٧٥.

فتأويل الكلام إذا: فهلاً إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها، الذين لم
يتضرعوا عند أخذناهم بالبأساء والضراء، "تضرعوا"، فاستكانوا لربهم، وخضعوا
لطااعته، فيصرف ربهم عنهم بأسه، وهو عذابه.

ويقول في قوله تعالى {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ} ^{٤٧٦} :
يقول تعالى ذكره: فهلا كانت قرية آمنت؟

وهي كذلك فيما ذكر في قراءة أبي... حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال: بلغني في حرف ^{٤٧٧} ابن مسعود: "فلولا"، يقول: فهلا ^{٤٧٨}.

وفي قوله تعالى {لَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَّهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ} يقول الطبري: يقول تعالى ذكره: فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السور.... ^{٤٧٩}

وتأتى [لوما] بمعنى [هلاً] أو بمعنى [لولا] وذلك نحو قوله تعالى {لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} ^{٤٨٠} أى: هلاً تأتينا ^{٤٨١}. وفيها يقول الطبري: يقول تعالى ذكره: "لو ما تأتينا بالملائكة" قالوا: هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول؟ "إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"، يعني: إن كنت صادقاً في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولاً، وأنزل عليك كتاباً، فإن الرب الذي فعل ما تقول بك، لا يتعذر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا، وآية لك على نبوتك، وصدق مقالتك. والعرب تضع موضع لوما: وموضع لولا: لوما، من ذلك قول ابن مقيل:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمْ بِيَغْضِ مَا فِيكُمْ إِذْ عِبْتُمَا عَوْرِي
يريد: لولا الحياء ^{٤٨٢}.

معانى [مِنْ]

[مِنْ] بمعنى [الباء]

ذهب المبرد إلى أن [مِنْ] بمعنى [الباء]، فمن ذلك قوله تعالى {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} ^{٤٨٣}؛ أى: بأمر الله ^{٤٨٤}. وأورد ابن هشام ^{٤٨٥} الآية... وقال: قال يونس، والظاهر أنها للابتداء، واستدل الصحارى في الإبانة ^{٤٨٦} على جىء [مِنْ]

بمعنى [الباء] بقوله تعالى {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ} ^{٨٧}؛ أى: بأمره ^{٨٨}، و{مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَّمَ} ^{٨٩}؛ أى: بكل.

ومنه قوله تعالى {يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} ^{٩٠}؛ أى: بطرف خفى ^{٩١}.

وفى اللسان أن [من] قد تأتي بمعنى [الباء] وذلك نحو قولهم فى القسم: من وربى ما فعلت. فـ[من] حرف جر، وضعت موضع الباء ههنا؛ لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض إذا لم يلتبس المعنى ^{٩٢}.

وفيما أورده صاحب اللسان نظراً؛ فلم يبين كلامه على حجة، أو دليل نقلى عن العرب، أو نص قرآنى، أو أثر حديثى، وعلل له بكلام مطلق عام، إذ حروف الجر ينوب بعضها عن بعض إذا لم يلتبس المعنى.

أما الطبرى فيقول فى الله تعالى {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}، اختلف أهل التأويل فى تأويل هذا الحرف... واختلفوا أيضاً فى معنى قوله: "من أمر الله". فقال بعضهم: حفظهم إياه من أمره. وقال بعضهم: "يحفظونه من أمر الله": بأمر الله.

وقد أيد الطبرى هذا رأى وذلك فيما رواه عن ابن عباس قال: "يحفظونه من أمر الله"، قال: الملائكة من أمر الله.

أما من قال: إن [من] بمعنى [الباء]: يحفظونه بأمر الله.

فمن ذلك ما رواه الطبرى عن قتادة وذلك قوله: "يحفظونه من أمر الله"، أى: بأمر الله.

بل استدلل بما روى عن قتادة بأن بعض القراءات جاءت بالباء، فعن قتادة: "يحفظونه من أمر الله"، وفى بعض القراءات: بأمر الله... وقال آخرون: معنى ذلك: يحفظونه من أمر الله، و "أمر الله"، الجن ومن يبغي أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله. فإذا جاء قضاؤه، خلوا بينه وبينه. ذكر من قال ذلك... وقال آخرون: معنى ذلك: يحفظونه عليه من الله.

ثم ذكر الطبرى رواية عن ابن جريج قال من قال ذلك: حدثنا القاسم قال... عن ابن جريج: "يحفظونه من أمر الله"، قال: يحفظونه عليه من الله.

قال أبو جعفر: يعني ابن جريج بقوله: يحفظونه عليه، الملائكة الموكله بابن آدم، يحفظ حسناته وسيئاته، وهي المعقبات عندنا، تحفظ على ابن آدم حسناته وسيئاته من أمر الله... قال أبو جعفر: وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله: "من أمر الله"، أن الحفظة من أمر الله، أو تحفظ بأمر الله، ويجب أن تكون الهاء التي في قوله: "يحفظونه"، وحدثت وذكرت وهي مراد بها الحسنات والسيئات، لأنها كناية عن ذكر من الذي هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، وأن يكون المستخفي بالليل، أقيم ذكره مقام الخبر عن سيئاته وحسناته، كما قيل: {واسئل القرية التي كنا فيها والعرير التي أقبلنا فيها}

...ثم يعود الطبري فيناقش ما ورد في تلك الآية من خلاف فيقول: وأما قوله: "يحفظونه من أمر الله"، فإن أهل العربية اختلفوا في معناه. فقال بعض نحوي الكوفة: معناه: له معقبات من أمر الله يحفظونه، وليس من أمره يحفظونه، إنما هو تقدم وتأخير. قال: ويكون يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه، كما تقول للرجل: أجبتك من دعائك إياي، وبدعائك إياي.

وقال بعض نحوي البصريين، معنى ذلك: يحفظونه عن أمر الله، كما قالوا: أطعمني من جوع، وعن جوع، و كسائي عن عري، ومن عري. وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله: "يحفظونه من أمر الله"، من صفة حرس هذا المستخفي بالليل، وهي تحرسه ظناً منها أنها تدفع عنه أمر الله. فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لا يغني عنه شيئاً إذا جاء أمره، فقال: "وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال".^{٤٩٣} أما قوله تعالى {يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} فقد عرض الطبري، على عجالة لما ذهب إليه بعضهم، من أن [من] بمعنى [الباء] فقال:

و اختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحوي البصرة في ذلك: جعل الطرف العين، كأنه قال: ونظرهم من عين ضعيفة، والله أعلم. قال: وقال: يونس: إن "

من طرف " مثل بطرف، كما تقول العرب: ضربته في السيف، وضربته بالسيف
٤٩٤.

[مِنْ] بمعنى [على]

ذهب ابن فارس^{٤٩٥} إلى أن [مِنْ] تكون بمعنى [على]، واستدل بقوله تعالى {وَوَصَرَّتْهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا}^{٤٩٦} ثم يقول: وكان أبو عبيدة يقول في قوله تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ}^{٤٩٧} إن [مِنْ] صلة. قال أبو ذؤيب^{٤٩٨}:

جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوُدِّ لَمَّا أَرَدْتُهُ وَمَا إِنَّ جَزَاكَ الضَّعْفَ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي

وفي قوله {وَوَصَرَّتْهُ مِنَ الْقَوْمِ} يقول ابن هشام: [مِنْ] مرادفة لـ [على]، وقيل: على التضمين؛ أي: منعنا منهم بالنصر^{٤٩٩}.

وقد ضمن الطبري تفسيره لتلك الآية لهذا التعاقب فقال: يقول: ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا.^{٥٠٠}

وقد أشار القرطبي إلى كون [مِنْ] في قوله تعالى {وَوَصَرَّتْهُ مِنَ الْقَوْمِ} بمعنى [على] فقال: قال أبو عبيدة: " من " بمعنى على. وقيل: المعنى فانتقمنا له من القوم الذين كذبوا بآياتنا. " فأغرقناهم أجمعين " أي الصغير منهم والكبير^{٥٠١}.

[مِنْ] بمعنى [عن]

"تأتى [مِنْ] مرادفة لـ [عن] نحو قوله تعالى {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ}^{٥٠٢}، وقوله تعالى {يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا}^{٥٠٣}، وقيل: هي في هذه الآية للابتداء؛ لتفيد أن ما بعد ذلك من العذاب أشد، وكأن القائل يعلق معناها — [ويل]، مثل {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ}^{٥٠٤}.

ولا يصح — والكلام لابن هشام — كونه تعليقا صناعيا للفصل بالخبر، وقيل: هي فيهما للابتداء، أو هي في الأول للتعليل؛ أي: من أجل ذكر الله، لأنه إذا ذُكر قست قلوبهم. انتهى كلام ابن هشام. ولا يمنع هذا التوجيه؛ لأن من معاني [مِنْ] السببية. وزعم ابن مالك أن [مِنْ] في نحو: زيد أفضل من عمرو. للمجازاة، كأنه

للمجاوزه، وكأنه قيل: جاوز زيدٌ عمرًا في الفضل، قال: وهو أَوْلَى من قول سيبويه وغيره أنها لا ابتداء الارتفاع في نحو: أفضل منه، وابتداء الانحطاط في نحو: شرٌّ منه. إذ لا يقع بعد إلى. أھـ

ويقال: لو كانت للمجاوزه لَصَحَّ في موضعها [عن] "°°".

وقد أجاز الطبري هذا التعاقب في قوله تعالى {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ}

يقول الطبري: يقول تعالى ذكره: فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكراً به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدق بما فيه. وقيل "من ذكر الله" والمعنى: عن ذكر الله، فوضعت من مكان عن، كما يقال في الكلام: أتخمت من طعام أكلته، وعن طعام أكلته. بمعنى واحد. °°٦.

وإلى هذا الرأي ذهب القرطبي، فقال: وقوله: " فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله " قيل: المراد: إن (من) بمعنى عن، والمعنى قست عن قبول ذكر الله °°٧. وهذا اختيار الطبري.

[مِنْ] بمعنى [في]

وذلك نحو قوله تعالى {مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} °°٨؛ أى: في الأرض °°٩.

وقوله تعالى {إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ} °°١٠. ويعلق ابن هشام °°١١ على هذا بقوله: إن الظاهر في الآية الأولى أنها لبيان الجنس، ومثلها قوله تعالى {مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ} °°١٢.

ولعل ما يدل على قرب هذا التعاقب هو أن ما بعد [من] يفيد الظرفية [الأرض]، و[يوم] في الثانية، وهذا ما يُجَوِّزُ هذا التعاقب، أما في الثالثة فتعاقب [من] مع [في] فيه بعد.

ولم يشر الطبري إلى تعاقب في تلك الآية.

أما قوله تعالى من يوم الجمعة فلم يتحدث الطبري عن تعاقب حرف فيه، غير أن القرطبي أشار فيها إلى هذا التعاقب فقال: و[من] بمعنى [في]، أي في يوم، كقوله تعالى: "أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ" أي في الأرض^{١٣}.

[هل] بمعنى [قد]

كان محور حديث العلماء في ذلك قوله تعالى {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا}^{١٤} فقال ابن الشجري: "واختلف في [هل] هاهنا، ف قيل: هي بمعنى (قد) وقيل هي على بابها في الاستفهام^{١٥}".

وقال بعض المفسرين: "والأحسن أن تكون للاستفهام الذي معناه التقرير، وإنما تقرير لمن أنكر البعث، فلا بد أن يقول: نعم قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه، ف قيل له: فالذي أحدث الناس وكونهم بعد عدمهم، كيف يمتنع عليه إحيائهم بعد موتهم؟ وهو معنى قوله تعالى {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ}^{١٦}، أي فهلا تذكرون فتعلمون أنه من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن قادراً على إعادته بعد عدمه"^{١٧}. وقال أبو إسحاق الزجاج: قوله عز وجل {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ} المعنى ألم يأت على الإنسان حين من الدهر، وإنما قال: لم يكن شيئاً مذكوراً؛ لأنه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح، ويجوز أن يعني به جميع الناس، أنهم كانوا نطقاً ثم علقاً ثم مضغاً، إلى أن صاروا شيئاً مذكوراً^{١٨}. وذكر أبو العباس^{١٩} (عند تحديد حروف المعاني) مواضع (قد) فقال: تكون اسماً بمعنى حسب، في قولك: قَدْكَ، وتكون حرفاً في موضعين أحدهما: أن يكون قوم يتوقعون جواب: هل قام زيد؟ فيقال: قد قام ... ثم ذكر (هل) فاقبل: ومن الحروف هل، وهي لاستقبال الاستفهام، نحو قولك: هل جاء زيد، وتكون بمتلة (قد) في قوله جل اسمه {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ}.

وقد أورد ابن الشجري رواية وفيها: روى عن أبي أحمد عبد السلام عن الحسن البصري: أنه قال: كتب إلى شيخنا أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي

رقعة نسختها: أريد — قُدِّمْتُ قبلك — أن تسأل أبا سعيد أدام الله عزّه عما أنا ذاكره.. في هذه الرقعة وتطويل بتعريف ما يكون في الجوانب^{٥٢٠}.

"والعلم محيط بأنها (أي قد) لا تكون بمعنى حسب ولا تكون جواباً لقول من قال: هل قام زيد؟ فيقال: [هل قام]؛ لأن المجيب (يكون) كأن حكى كلام المستفهم، وهذا غير معروف في كلام العرب، ولا يحسن أن تكون بمعنى "ربما" في قوله "قد أترك القرن" لأن المعنى ربما أترك القرن.

و (هل) لا تتضمن هذا المعنى، وما علمت أحداً من أهل اللغة قال: إن (هل) تكون في شيء من الكلام ولا القرآن بمعنى (قد)، والنحويون يقولون في قوله عز وجل {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ} : إن المعنى لم يأت؟، ومنهم الزجاج فَمَنْ — جعلني الله فداك — على بتعجيل الجواب فلاي أتطلعه.

فوقفتُ القاضي أبا سعيد على الرقعة، فأملى على ما كتبه على ظهرها: بسم الله الرحمن الرحيم {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ} على قول من جعله بمنزلة (قد) إنما تكون (قد) من قسم دخولها للفعل المتوقع، فكأنه قيل لقوم يتوقعون الأخبار عما أتى على الإنسان، والإنسان آدم: قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؛ لأن آدم زمناً طيناً..^{٥٢١} وقد أورد كلاماً كثيراً خلاصته أن في (هل) وجهين: أحدهما: هي بمعنى (قد). والثاني: هل استفهام باهما والاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ^{٥٢٢}.

ومثله قول الحادرة الذبياني^{٥٢٣}:

أَسْمَى، وَيَحْك، هَلْ سَمِعْتَ بِغُدْرَةِ رُفِعِ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا فِي مَجْمَعٍ

وقد أيد الطبري كون [هل] بمعنى [قد] فقال الطبري: يعني جل ثناؤه بقوله "هل أتى على الإنسان" قد أتى على الإنسان، وهل في هذا الموضع خبر لا جحد، وذلك كقول القائل لآخره يقرره، هل أكرمتك؟ وقد أكرمه، أو هل زرتك؟ وقد زاره، وقد تكون جحداً في غير هذا الموضع، وذلك كقول القائل القائل لآخر: هل يفعل مثل هذا أحد؟ بمعنى: أنه لا يفعل ذلك أحد^{٥٢٤}.

وقد أيد القرطبي ذلك صراحة فقال: قوله تعالى: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا" ((هل)). بمعنى قد، قاله الكسائي والفراء وابو عبيدة. وقد حكى عن سيبويه ((هل)). بمعنى قد. قال الفراء: هل تكون جحدا، وتكون خبراً، فهذا من الخبر، لأنك تقول: هل اعطيتك؟ تقرر به بأنك أعطيته. والجحد ان تقول: هل يقدر احد على مثل هذا؟ وقيل: هي بمنزلة الاستفهام والمعنى: أتى^{٢٥}.

[الواو] بمعنى [مع]

وفي قوله تعالى {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ}^{٢٦} يقول الطبري.

ونصب قوله: " وشركاءكم "، بفعل مضمر له، وذلك: ((وادعوا شركاءكم))، وعطف بـ ((الشركاء)) على قوله ((أمركم))، على نحو قول الشاعر:

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا^{٢٧}

فالرمح لا يتقلد، ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف، اكتفي بذكر ما ذكر مما حذف، فكذلك ذلك في قوله: ((وشركاءكم)).

واختلفت القراءة في قراءة ذلك: فقرأته قراءة الأمصار: " وشركاءكم "، نصباً وقوله: " فأجمعوا "، بهمز الألف وفتحها، من: ((أجمعت أمري فأنا أجمعه إجماعاً)).

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: " فأجمعوا أمركم "، بفتح الألف وهزها، ((وشركاؤكم)). بالرفع، على معنى: وأجمعوا أمركم، وليجمع أمرهم أيضاً معكم شركاؤكم.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك قراءة من قرأ: " فأجمعوا أمركم وشركاءكم "، بفتح الألف من ((أجمعوا)) ونصب ((الشركاء))، لأنها في المصحف بغير واو، ولإجماع الحجة على القراءة بها، ورفض ما خالفها، ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو^{٢٨}.

فثبت في معنى قراءة الحسن البصري نيابة [الواو] مناب [مع]، وقد رده الطبري؛ ذلك لكونها قراءة شاذة.

وفي قوله تعالى {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ} ^{٥٢٩} يقول الطبري: وفي رفع قوله: "وطائفة"، وجهان.

أحدهما، أن تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله: "قد أهتمهم". والآخر: بقوله: "يظنون بالله غير الحق"، ولو كانت منصوبة كان جائزاً، وكانت الواو، في قوله: "وطائفة"، ظرفاً للفعل، بمعنى: وأهتم طائفة أنفسهم ^{٥٣٠}، كما قال "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ" ^{٥٣١}.

والظرفية أى بمعنى إذ.

الخاتمة

الحمد لله الذى تتم به النعم، وتدفع به النقم، والصلاة والسلام على أعظم الخلق والأمم، وعلى آله وأصحابه أهل المن والكرم وبعد.

فقد تبين من البحث ما يلي: أولاً: أن الطبري كان صاحب فكر لغوى قدّر ما كان صاحب مذهب فقهى. ثانياً: أن الطبري كان يميل في معظم توجيهاته اللغوية وآرائه النحوية للكوفيين، ومن ثم مصطلحاتهم. ثالثاً: أن تفسير الطبري يعد وعاء لغوياً ونحويًا وفقهياً، آن للباحثين إجابة النظر فيه، وفي جوانب العربية المختلفة. رابعاً: رد الطبري تعاقب الحروف في مواضع وقبلها في أخرى، وقد بلغت مواضع قبوله للتعاقب ثلاثة وثلاثين موضعاً تقريباً، أما رده فقد بلغ قرابة عشرين موضعاً.

وقد استنبطنا مواضع الرد والقبول هذه إما تصريحاً من الطبري، أو تلميحاً من خلال النظر في تفسيره للآية التى تحتوى على الحرف موضع الاستشهاد. خامساً: عرض الطبري للآراء المختلفة في تلك المسألة، ثم قام بتحليلها، واختار لنفسه مذهباً.

وفي النهاية نسأل الله تعالى أن يتقبل منا، ويتجاوز عنا، إنه سميع مجيب الدعاء،
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحتوى

المقدمة

التمهيد: [حياة الطبري] مولده - نبوغه - رحلاته - مؤلفاته - مذهبه الفقهي
الفصل الأول: [المذهب النحوي] أولا: المصطلح النحوي - ثانيا: الخلط بين
المصطلح البصري والكوفي - ثالثا: اختياره النحوي - رابعا: الآراء النحوية الخاصة
بالطبري.

الفصل الثاني [دراسة تعاقب الحروف في جامع البيان].

معاني [إلا]: إلا بمعنى [بل]. إلا بمعنى [لكن].

معاني [إلى]: إلى بمعنى [عند]. إلى بمعنى [في]. إلى بمعنى [مع] إلى بمعنى [من].
[أم] بمعنى [بل].

[أو] بمعنى [بل] وبمعنى [الواو]..

[أن] بمعنى [لعل].

معاني [الباء]: الباء بمعنى [إلى]. الباء بمعنى [على]. الباء بمعنى [عن]. الباء
بمعنى [في]. الباء بمعنى [الكاف]. الباء بمعنى [اللام]. الباء بمعنى [مع]. الباء
بمعنى [من].

معاني [بل]: بل بمعنى [لكن]. بل بمعنى [هل] أو [أم].

معاني [على]: على بمعنى [الباء]. على بمعنى [عن]. على بمعنى [في]. على
بمعنى [اللام]. على بمعنى [مع]. على بمعنى [من].

معاني [عن]: عن بمعنى [الباء]. عن بمعنى [بعد]. عن بمعنى [على]. عن بمعنى [في].. عن
للتعليل [اللام]. عن بمعنى [مع].

معاني [في]: في بمعنى [إلى]. في بمعنى [على]. في بمعنى [عن]. في بمعنى [للتعليل] [اللام].
في بمعنى [مع].

الكاف بمعنى [لعل].

معاني [اللام]: اللام بمعنى [عن]. اللام بمعنى [عند] اللام بمعنى [في].

[لعل] بمعنى [كي].

[لكن] بمعنى [الواو]. [لو] بمعنى [إن].

[لولا] بمعنى [لوما] وبمعنى [هلاً].

معاني [من]: من بمعنى [الباء]. من بمعنى [عن]. من بمعنى [في].

[هل] بمعنى [قد].

[الواو] بمعنى [مع].

الخاتمة.

مصادر البحث ومراجعته..

هوامش البحث

¹ - فصلت ٤٢

² - الأحرف السبع هي التي وردت في حديث تعددت رواياته: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافروا ماتيسر منه" رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وغيرهم. فقد حرق عثمان الأحرف الستة بعد اختلاف القراء من الصحابة في قراءة كل بالحرف الذي يعرفه وتخطئته للآخر، بل ربما تكفيره، وأبقى عثمان الأمة على حرف واحد حتى لا تختلف اختلاف اليهود النصارى في كتابها. ولذا ورد عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال: يا معشر الناس اتقوا الله، وإياكم والغلو في عثمان وقولكم: حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول محمد صلى الله عليه وسلم... وفي رواية أخرى: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان. وقد أورد تلك الروايات القرطبي في تفسيره [القرطبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري] [٦٧١هـ] - الجامع لأحكام القرآن ١٠٥-٨٨/١ - دار الغد العربي مصر، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

وقد تعددت الآراء في الأحرف السبع غير أن الأصوب منها: ما اختاره القرطبي وجمهور العلماء، أنها لغات سبع من لغات العرب، وليس في الأمر إباحة في أن يبدل صحابي بذاته لفظة مكان لفظة، بل المناط هو الحرف الذي سمعه الصحابي من رسول الله صلى الله عليه وسلم... "وعلى هذا، يحمل قول أنس حين قرأ {إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قبلاً، فقيل له: إنما نقرأ: وأقوم قبلاً. فقال أنس: وأصوب قبلاً، وأقوم وأهياً واحداً". [القرطبي- الجامع ٩٥/].

وكما نرى على ما أورده القرطبي كانت الأحرف السبع بإبدال لفظ مكان لفظ، لأمر مكان أمر ولاهسى مكان آخر، ولاحكم مكان حكم، وإلا لو كان الأمر كما قال البعض أن المراد بالأحرف السبع الأمر والنهى والوعد والوعيد والقصص والمجادلة والأمثال، [وَرَدَ هذا الرأى لدى القرطبي فى الجامع ٩٣/١] لما جاز لعثمان بن عفان رضى الله عنه أن يحرقها، ولو كان الأمر كذلك ما أجمعت الصحابة -رضوان الله عليهم- على عمله.

علما أن الأحرف السبع ليست هى القراءات السبع بل إن القراءات السبع أو العشر أو غيرها لا تمثل إلا حرفا واحدا، تعددت فيه القراءات بما يحتمله الخط العثمان. وهذا يقع الإجماع فيه لدى أهل القراءات، وأصحاب التفسير [القرطبي، الجامع ٩٣/١ - ابن الجزرى: محمد بن محمد الدمشقى [ت ٨٣٣هـ]، النشر فى القراءات العشر، ٣٣/١ - ٣٦ صححه وراجع / على محمد الضباع، دار الكتاب العربى، بيروت. ب.ت.

٣- الحجر ٩

٤- فمن ذلك ما ورد عن أبى بكر أنه سئل عن قوله تعالى {أبَا} [سورة عبس ٣١] فقال: أى سماء تظلى؟ وأى أرض تظلى؟ إذا قلت فى كتاب الله مالا أعلم. [للسيوطى: جلال الدين عبد الرحمن السيوطى [ت ٩١١هـ] الدرر المنتشرة فى الأحاديث المشتهرة، ٦/ ٣١٧، تحقيق / محمد عطا، ط ١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

٥- رواه البخارى ومسلم وأحمد ومالك وأبو داود والترمذى وابن ماجه.

٦- رواه أحمد ومالك وأبو داود والترمذى وابن ماجه.

٧- رواه البخارى ومسلم.

٨- رواه الطبرانى فى مسنده ١١/ ٦٧ الحديث رقم ١١١٠٨

٩- السيوطى / الإتقان ١/ ١٥٨-١٧٥

١٠- النساء ٢

١١- وذلك قول الطبرى الذى أورده: "ولـ" إلى "فى كل موضع دخلت من الكلام حكم، وغير جائز سلبها معانيها فى أماكنها. الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد [ت ٣١٠هـ]، جامع البيان عن تأويل القرآن ١/ ١٨٩ قدم له: خليل الميس، وثقه: صدقى جميل العطار، دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٢- ابن جنى أبو الفتح عثمان، الخصائص ٢/ ٣٠٦، تحقيق / محمد على النجار، ط ٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٣- آل عمران ٥٢

١٤- ابن جنى، الخصائص ٢/ ٣٠٦

١٥- البقرة ١٨٧

١٦- ابن جنى، الخصائص ٢/ ٣٠٨

١٧- المرجع السابق ٢/ ٣٠٩

١٨- السابق ٢/ ٣١٥: ٣٠٩، وانظر كذلك ٣/ ٢٦٠: ٢٦٤

١٩- أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن قاضى شهبة الدمشقى [٧٧٩هـ - ٨٥١هـ]، طبقات الشافعية ٢/ ١٣٥، صححه وعلق عليه: د. الخافظ عبد العليم خان، ورتب فهارسه: د. عبد الله أنيس

الطباع، عالم الكتب بيروت، ط أولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م - خير الدين الزركلي، الأعلام ٢٩٤/٦، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، ١٩٨٩م. - ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان [ت ٦٨١هـ]، وفیات الأعيان ٣/٣٣٢، تحقيق / إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. ب.ت. - ابن كثير، البداية والنهاية ١١/١٤٥، مطبعة السعادة، ١٩٥٤م. - الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان [ت ٧٤٨هـ] ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣/٣٥، تحقيق / علي محمد البحاي، دار الفكر، ب.ت. - ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان ٥/١٠٠، ب.ت. - طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ١/٢٠٥، مراجعة وتحقيق / كامل كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب العلمية، ب.ت. - أ.جى.بريل، دائرة المعارف الإسلامية ص ٦٧٦٥، مركز الشارقة للإبداع الفكرى، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. مقدمة تاريخ الطبرى [تاريخ الأمم والملوك] ص ٣-٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت. - د. محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام ١٠٥-١٠٨، دار الفكر العربى، بيروت - د. عبد المجيد محمود، الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث ص ١٩٧٩، ٦٤٤٢م ١٣٩٩هـ.

²⁰ - ابن بشار الأحول [ت ٢٨٨هـ] هو الذى أخذ عن الطبرى فقه الشافعى، وكان السبب المباشر في نشر كتب فقه الشافعى. ابن قاضى شعبة، طبقات الشافعية، ١/٨٠.

²¹ - الإسراء ٨١

²² - الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن ١/١٤٨، تحقيق / احمد يوسف نجاتي و محمد على النجار، الهيئة العامة مصر، ط ١، ١٩٨٠م - ابن يعيش موفق الدين بن يعيش على بن يعيش النحوى [ت ٦٤٣هـ]، شرح المفصل، ٨/٧، عالم الكتب، بيروت، ب.ت. - د. عوض حمد القوزى، المصطلح النحوى، ص ١٧٧، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٤٠١هـ-١٩٨١م

²³ - البقرة ١٤

²⁴ - الطبرى، جامع البيان ١/١٨٩

²⁵ - آل عمران ١٥٨

²⁶ - أى بالجار والمجرور.

²⁷ - الطبرى، جامع البيان ٣/٢٠٠

²⁸ - الفراء، معاني القرآن ١/١٧، حمد القوزى، المصطلح النحوى ص ١٦٤

²⁹ - البقرة ١٩

³⁰ - الأنبياء ٩٠

³¹ - الطبرى، جامع البيان ١/٢٢٧

³² - يقول الفراء في ذلك: "الصرف أن تأتى الواو معطوفة على كلام، في أوله حادثة، لانتستقيم إعادتها على ما عطف عليها". الفراء، معاني القرآن ١/٣٤

³³ - البقرة ٤٢

³⁴ - البيت لأبي الأسود الدؤلى، وهو من الشواهد النحوية المشهورة في نصب الفعل المضارع [تأنى] بان مضمرة وجوبا بعد واو المعية. انظر سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر [٣٥٨هـ]، الكتاب، ١/٤٢٤، تحقيق وشرح / عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م - جلال الدين عبد

الرحمن السيوطي [ت ٩١١هـ]، شرح شواهد المغني ٧٨٠/٢، المطبعة البهية، مصر ١٣٢٣هـ - البغدادي عبد القادر بن عمر البغدادي [ت ١٠٩٣هـ]، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٦١٧/٣، تحقيق / عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

35- الطبري، جامع البيان ٣٦٣/١

36- آل عمران ١٤٢

37- أى: حروف العطف، والنسق من المصطلحات الشائعة عند الكوفيين، ويقصد بها العطف، وقد أشار صاحب المصطلح النحوي إلى أن هذا المصطلح كان شائعاً لدى الخليل وسيبويه، غير أن كثرة استعماله في بيئة الكوفيين جعل نسبته لهم. انظر حمد القوزي، المصطلح النحوي ص ١٦٩، بتصرف وإيجاز شديدين.

38- الطبري، جامع البيان ١٤٥/٣

39- أشرنا إلى أن الكوفيين كانوا يستعملون التفسير ويقصدون به المفعول لأجله، وفي هذا الموضع إشارة إلى أنهم كانوا يستخدمون التفسير بمعنى التمييز، انظر الفراء، معاني القرآن ٧٩/١، ٣٠٨/٢، ٣٤١.

40- البقرة ١٣٠

41- الطبري، جامع البيان ٧٧٧/١

42- آل عمران ١٥

43- الطبري، جامع البيان ٢٨٠/٣

44- ويقول الفراء في توجيه قوله تعالى {هدى للمتقين} البقرة ٢.... ونكتفي بتوجيه النص: فأما النصب في أحد الوجهين فإن تجعل {الكتاب} خيراً لـ {ذلك}، فتنبص {هدى} على القطع؛ لأن النكرة لا تكون دليلاً على معرفة، وإن شئت نصبت {هدى} على القطع من الهاء في {فيه}، كأنك قلت: لاشك فيه هادياً. الفراء، معاني القرآن ١١، ١٢/١، و الطبري، جامع البيان ٢٣٠/١، ٣٣٠، وانظر حمد القوزي المصطلح النحوي ص ١٧٠.

45- القرطبي، تفسير القرطبي ٣٠٦/١٤ - الأشموني نور الدين علي بن محمد [٩٠٠هـ]، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك في النحو والصرف ١٢٣/٣، ب.ت - وحمد القوزي، المصطلح النحوي ص ١٦٣.

46- آل عمران ١١٣

47- الطبري، جامع البيان ٧٠/٣

48- آل عمران ١٦٨

49- الطبري، جامع البيان ٢٢٥/٣

50- الفراء، معاني القرآن ١٨٥/١، ١٩، ٥، ٢١٠ - السيوطي، مع المعاني شرح جمع الجوامع في علم العربية، ٥٦/١، عني بتصحيحه / السيد محمد بدر الغسان، دار المعرفة، بيروت، ب.ت - وحمد القوزي، المصطلح النحوي ص ١٧٤.

51- آل عمران ١١٩

52- الطبري، جامع البيان ٨٦/٣

53- آل عمران ١٨

54- الطبرى، جامع البيان ٢٨٥/٣، أما قوله: صار نعتا لمعرفة، أى إن النكرة وصفت معرفة، فأصبحت حالا لها فلذلك نصبت، فالتعت هنا تحول معناه إلى الحال، وهو استعمال غريب فالكوفيون يطلقون على الحساب وصفا أو صفة، على أن معنى الرصف عندهم تشمل الجانب الاشتقاقي، والجانب الدلالي لوصفية الحال.

55- وفي معجم الموامع يقول السيوطي: "والتعبير به [أى: النعت] اصطلاح الكوفيين، وربما قاله البصريون، والأكثر عندهم الرصف والصفة. انظر السيوطي، معجم الموامع ١١٦/٢ - وحمد القوزي، المصطلح النحوى

ص ١٦٦

56- النساء ٣٦

57- الطبرى، جامع البيان ١١١/٤

58- النساء ٣٨

59- وإن لم يقصد بها مصطلح الصفة، وقصد بها مجرد وصف الشيء كمصدر فهو مصطلح بصرى، وإلا لقال: بين نعت الذين...

60- وقوله: على ما وصفنا؛ أى: على ما قلنا وأوردنا، وذلك على غرار قوله تعالى ﴿والله المستعان على ما يصفون﴾

61- الطبرى، جامع البيان ١٢٣/٤.

62- النساء ٦٥

63- الطبرى، جامع البيان ٢٢٠/٤

64- النساء ٨٨

65- مكى أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى القيرواني [٣٥٥هـ - ٤٣٧هـ] مشكل إعراب القرآن ص ١٨٥، تحقيق / ياسين محمد السواس، ط ٢ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار اليمامة للطباعة والنشر بدمشق.

66- الطبرى، جامع البيان ٢٦٥/٤

67- النساء ١٦٢

68- البقرة ١٧٧

69- أشار صاحب المصطلح أن الخليل استخدمه ليقابل الرفع والنصب. انظر سيبويه، الكتاب ١٦٠/٢، ٢٨٦/٢، وكذلك حمد القوزي، المصطلح النحوى ص ٩٠. غير أننا نرى أنه غلب على استعمال الكوفيين، ليقابل الشائع في بيئة البصريين وهو الجر.

70- التوبة ٦١

71- أى: بفعل محذوف، تقديره: أمدح.

72- أى: ضمير، وهو مصطلح كوفى، ومثله الكناية.

73- أى: العطف، وقد سبق.

74- الطبرى، جامع البيان ٣٧-٣٤/٦

75- البقرة ٩

76- آل عمران ١٧٨

77- الحديد ١٣

78 - الطبري، جامع البيان ١١٦/١ - ١١٨

79 - البقرة ١٠

80 - أى ما أحسن كونَ عبد الله.

81 - بمعنى استحال.

82 - البقرة ١٤

83 - الطبري، جامع البيان ١٨٩/١

84 - البقرة ١٥

85 - الطور ٢٢

86 - الأنعام ١١٠

87 - الطبري، جامع البيان ١٩٥/١

88 - البقرة ١٧

89 - الزمر ٣٣

90 - البيت للأشهب بن رميلة، البغدادي، خزانة الأدب ٧، ٢٥/٦، ٢٨ - السيوطي، شرح شواهد المغني

١٧/٢ ٥ المطبعة البهية ١٣٢٢هـ - سيبويه، الكتاب ١٨٧/١ - ابن منظور، لسان العرب مادة [فليج] دار

المعارف مصر، ب.ت - ابن جني [٣٩٢هـ]، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ولإيضاح عنها

١٨٥/١، تحقيق / على النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شلي، المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م - الميرد أبو العباس محمد بن يزيد

[٢١٠هـ - ٢٨٥هـ]، المقتضب ١٤٦/٤، تحقيق / محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،

لجنة إحياء التراث، القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م - الملقى رصف المباني ٣٤٢ - ابن جني سر صناعة

الإعراب ٥٣٧/٢، تحقيق / حسن هندواي، ط ٢ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار القلم دمشق وبيروت

91 - وقد عرض الطبري في جامع البيان [٢٠٣/١] للرأى الأول وهو رأيه بعلمته فيقول: إن قال لنا قائل:

وكيف قيل "مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً"، وقد علمت أن الهاء والميم من قوله "مثلهم"، كناية جماع من

الرجال أو الرجال والنساء و "الذي"، دلالة على واحد من الذكور؟ فكيف جعل الخبر عن واحد مثلاً لجماعة؟

وهلا قيل: مثلهم كمثل الذين استوقدوا ناراً؟ وإن جاز عندك أن تمثل الجماعة بالواحد، فتجيز لقائل رأي

جماعة من الرجال فأعجبه صورهم وغمم خلقهم وأجسامهم، أن يقول: كان هؤلاء، أو كان أجسام هؤلاء،

نخلة؟ قيل: أما في الموضع الذي مثل ربنا جل ثناؤه جماعة من المنافقين، بالواحد الذي جعله لأفعالهم مثلاً،

فجائز حسن، وفي نظائره، كما قال جل ثناؤه في نظير ذلك: "تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت" (

الأحزاب: ١٩)، يعني كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت وكقوله: "ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس

واحدة" (لقمان: ٢٨). بمعنى: إلا كبعث نفس واحدة.

وأما في تمثيل أجسام الجماعة من الرجال، في الطول وغمم الخلق، بالواحدة من النخيل، فغير جائز، ولا في

نظائره، لفرق بينهما.

فأما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد، فإنما جاز، لأن المراد من الخبر عن مثل المنافقين، الخبر عن مثل

استضاءتهم بما أظهروا بالسنتهم من الإقرار وهم لغيرة مستبطنون من اعتقادهم الرديئة، وخلطهم نفاقهم الباطن

بالإقرار بالإيمان الظاهر. والاستضاءة وإن اختلفت أشخاص أهلها معنى واحد، لا معان مختلفة. فالمثل لها في معنى المثل للشخص الواحد، من الأشياء المختلفة الأشخاص.

وتأويل ذلك: مثل استضاءة المنافقين بما أظهره من الإقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، قولاً، وهم به مكذبون اعتقاداً، كمثل استضاءة الموقد ناراً. ثم أسقط ذكر الاستضاءة، وأضيف المثل إليهم، كما قال نابغة بني جعدة:

وكيف تواصل من أصبحت خلاليته كأني مرحب

92 - الطبري، جامع البيان ٢٠٥/١

93 - الطبري، جامع البيان ٢٣١/١، ٣٥١، ٣٧٤ وفي الجزء الثاني ٢١٤/٢، وفي الثالث ٢٣٣/٣، ١٦٤، ١٦٥، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٦٥، ٣٧٤/٤.

94 - آل عمران ١١٣

95 - السكري أبو سعيد الحسن بن الحسين شرح أشعار الهذليين ٧١/١، تحقيق / عبد الستار أحمد فراج، وراجعته/ محمود محمد شاكر دار العروبة، ب.ت - الأشموني شر ألفية ابن مالك ١١٦/٣ - السيوطي، مع الهمع ١٣٢/٢.

96 - البيت للنابغة الذبياني، السيوطي مع الهموع ١٢٩/٢، والشنقيطي أحمد بن الأمين الشنقيطي، الدرر

اللوامع على مع الهموع شرح جمع الجوامع، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ب.ت.

97 - أي: إن الكلام قد تم على {سواء} وما بعده استئناف خير، فقوله {أمة} مبتدأ مؤخر، و{مسن أهل الكتب} متعلق بمحذوف خير وهذا ما استأنف به الطبري تحليله النحوي.

98 - الطبري، جامع البيان ٧٠/٣

99 - البقرة ٢٨

100 - التكوين ٢٦

101 - أي على إضمار قد.

102 - يرمز الطبري بـ [فعل] إلى الفعل الماضي ك[حضر]، فإذا وقع الماضي موقع الحال اقتضى الفعل قبله [قد] ظاهرة أو مقدرة.

103 - النساء ٩٠

104 - الطبري، جامع البيان ٢٧٥/١

105 - البقرة ٣٠

106 - الطبري، جامع البيان ٣٠٥/١

107 - الجمعة ١

108 - البقرة ٦١

109 - القراء السبع والعشر على القراءة بالألف والتنوين، وهي القراءة التي أشار إليها الطبري أولاً، وقد قرأ الحسن والأعمش {مِصْرَ} بلا تنوين، غير منصرف، ووفقاً بغني ألف، وهو كذلك في مصحف أبي بن كعب، وابن عباس. [انظر هذه القراءة لسدي البناء شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني

الدمياطى [ت ١١١٧هـ]، إتحاف فضلا البشر في القراءات الأربع عشر ص ١٨٠، وضع حواشيه الشيخ / أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ [١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م].

فليست هذه قراءة سبعة ولا عشرية المتفق عليها، وعلى تلاوتها، أما قراءة الحسن والأعمش المذكورتين فهى من الشاذ المشهور، وهى القراءة التى أضافها ابن البناء فى الإتحاف، وهى أربع قراءات، ولا يجوز القراءة بها، وإن جازت دراستها، ومعرفة أسرارها، فهى من الأحرف التى اتفقت الأمة وأجمعت الصحابة والتابعين على عدم تلاوتها تعبدا أو صلاة منذ عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

110 - الطبرى، جامع البيان ٤٤٦/١

111 - البقرة ١٧٥

112 - عبس ١٧

113 - الطبرى، جامع البيان ١٢٥/٢

114 - النساء ٧٢

115 - الطبرى، جامع البيان ٢٢٩

116 - النساء ١٢٤

117 - الطبرى، جامع البيان ٤٠١ / ٤

118 - آل عمران ١١٢

119 - مريم ٦٢

120 - النساء ٩٢

121 - الطبرى، جامع البيان ٦٦/٣

122 - المرجع السابق ٢٨٢/١ - ٢٨٧، ١١١/٤

123 - مسائل فقهية ٦٧ / ٢، ١٦٦، ٢٤٨، تفسيرية ٨٤/٢، نقد الرواية ٤٨/١، ٢١٢/٢، لغويات ١٠/٢، ١٩، ٢٢، ٣٠، ٥٠، قراءات قرآنية ٢٨/٢، ٤١، ٧٠-٨١، ٩٥، ١١٥، ١٨٠، ٢٣١، ٦٢٥.

١٢٤ - طه ١-٣

١٢٥ - الانشقاق ٢٣-٢٥

١٢٦ - ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا [ت ٣٩٥هـ]، الصحاحى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها الصحاحى ص ١٨٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر [٩٩] يوليو ٢٠٠٣ م مصر - والثعالى أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل [ت ٤٣٠هـ] فقه اللغة وأسرار العربية ص ٣٩٧، تحقيق / د. ياسين الأيوبى، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

127 - الطبرى، جامع البيان ١٧٢/١٦

١٢٨ - ابن فارس، الصحاحى ص ١٨٦ - الملقى أحمد بن عبد النور الملقى [ت ٧٠٢هـ]، رصف المباني فى شرح حروف المعانى ص ٨٥، تحقيق / أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية بدمشق، ب.ت.

١٢٩ - الغاشية ٢٢-٢٣

١٣٠ - ابن فارس، الصحاحى ص ١٨٧ - الثعالى، فقه اللغة ص ٣٩٧

١٣١ - سورة الفرقان ٥٧

- ١٣٢ - النجم ٣٢
- ١٣٣ - ابن فارس، الصاحبي ص١٨٦
- ١٣٤ - البيت لحذافة بن أنس الهذلي، ديوان الهذليين ٢٢/٣، ابن عصفور أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي [ت٦٦٩هـ]، المقرب ومعه مثل المقرب ص٢٣٤، تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١٣٥ - البقرة ١٥٠
- ١36 - العنكبوت ٤٦
- ١٣٧ - الصاحبي ص ١٨٧
- ١38 - الغاشية ٢٣
- ١39 - الطبري، جامع البيان ٢٠٨/٣٠
- ١٤٠ - ديوان النابغة ص ٧٨، المطبعة الوهية ١٢٩٣- الهروي، الأزهية في علم الحروف ص٢٨٣ ب. ت - ابن هشام، مغني اللبيب ٧٩/١-المالقي، رصف المباني ص٨٣- الصحاري، الإبانة ١/٣٧٠، ابن الشجري الأمالي الشجرية ٢٦٨/٢ - البغدادي، خزانة الأدب ١٣٧/٤- السيوطي، مع الموامع ٢٠/٢
- ١٤١ - الصحاري، الإبانة ١/٣٧٠- طرفه بن العبد، ديوان طرفه ص٢٩، شرح / أحمد بن الأمين الشنقيطي، قازان ١٩٠٩م - الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص١٨٧، تحقيق / عبد السلام هارون، دار المعارف، ط٤، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. - الهروي، الأزهية ص٢٨٤، ابن الشجري الأمالي الشجرية ٢٦٨/٢ - البغدادي الخزانة ٤/ ١٣٩
- ١42 - النساء ٨٧ والأنعام ١٢
- ١٤٣ - ابن هشام، مغني اللبيب ٨٨/١
- ١44 - الطبري، جامع البيان ٥/٢٦٠
- ١٤٥ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٥/١٩٧.
- ١46 - وهو مصطلح كوفي، معناه: الحشو والزيادة.
- ١47 - آل عمران ٥٢
- ١٤٨ - ابن هشام، مغني اللبيب ٨٨/١ - الزعخشري أبو القاسم جاز الله محمود بن عمر بت ٥٣٨هـ]، الفصل ص٣٦٥، قدم له / إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - المالقي، رصف المباني ص٨٣ وفيه: وكون [إلى] بمعنى [مع] حكاه ابن عصفور عن الكوفيين.
- ١٤٩ - وذلك على التضمن كما ورد في الصاحبي لابن فارس ص١٧٩.
- ١٥٠ - النساء ٢
- ١٥١ - المائدة ٦
- ١٥٢ - الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية ص٣٩٧
- ١٥٣ - البقرة ١٤
- ١٥٤ - الصحاري، الإبانة ١/٣٧٩

- ١٥٥ - الأعرشي ميمون بن قيس، ديوان الأعشى ص١٧٢، تحقيق محمد حسين، دار الآداب بالجماميز، ب.ت
— الصحارى، الإبانة ٣٧٩/١
- ١٥٦ - الصحارى، الإبانة ٣٧٩/١
- ١٥٧ - يزيد بن المفرغ الحميرى، ديوان يزيد بن المفرغ ص١١٨، تحقيق / داود سلوم، بغداد دار الإحسان،
١٩٦٨م - البغدادي، خزانة الأدب ٦٥٤/٣، الأشمون، شرح الأشمون ١٧/٤ - الصحارى، الإبانة ٣٧٩ / ١
- ١٥٨ - ذى الرمة، ديوان ذى الرمة ١ / ١٨٨، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي رواية ثعلب، تحقيق / د.
عبد لقدوس أبو صالح، طبعة طربين دمشق، ١٢٣٩٢هـ - ١٩٧٢م. - الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف
٢٦٧/١ - الصحارى، الإبانة ٣٧٩/١
- ١٥٩ - الصحارى، الإبانة ٣٧٩/١
- ١٦٠ - الملقى، رصف المبان ص٨٣
- ١٦١ - القرطبي، الجامع ٩/٥
- ١٦٢ - أى فى كلام العرب.
- ١٦٣ - البيت للقحيف العقيلي، انظر أبي زيد الأنصارى، نوادر أبي زيد الأنصارى، تحقيق / سعيد الخسورى،
بيروت ١٨٩٤م - ابن جنى، المحتسب ٥٢/١ - الميرد، المقتضب ٣٢٠/٢ - ابن جنى، الخصائص ٣١١/٢
- ١٦٤ - الطبرى - جامع البيان ١٨٩/١.
- ١٦٥ - المرجع السابق.
- ١٦٦ - السابق ٣٨٦/١
- ١٦٧ - القرطبي، الجامع ٦٣/٤
- ١٦٨ - الطبرى، جامع البيان ٣٠٥/٤
- ١٦٩ - القرطبي، الجامع ٩/٥
- ١٧٠ - وهذا هو القيد الذى ورد عند ابن هشام والزغنى والملقى وقد تناولناه فى هذا الباب.
- ١٧١ - الطبرى، جامع البيان ١٦٨/٦
- ١٧٢ - المرجع السابق.
- ١٧٣ - السابق ١٦٨/٦
- ١٧٤ - المنافقون ٦
- ١٧٥ - السجدة ٢، ٣
- ١٧٦ - الأعراف ١٩٥
- ١٧٧ - الطبرى، جامع البيان ١٠٩/١١
- ١٧٨ - القرطبي، الجامع ٥٣١٨/٦
- ١٧٩ - الكهف ١٩
- ١٨٠ - سبأ ٢٤
- ١٨١ - ابن هشام، معنى اللبيب ٧٤ / ١ - بتصرف وإيجاز شديدين.

- 182 - ابن الشجرى، الأمالى الشجرية ٣١٧/٢، ابن هشام، مغنى اللبيب ٧٥/١، السيوطى، مع الموامع ١٣٤/٢، وكذلك الدرر اللوامع ١٨١/٢
- 183 - سيبويه، الكتاب ٢٧٢/١ - ابن جنى، الخصائص ٤٦٠/٢، ابن الشجرى، الأمالى ١٤٢/٢، ابن يعيش، شرح المفصل ٥٤/٨ - البغدادى، خزنة الأدب ٦٧/٤ - ديوان النابغة ٢٤
- 184 - ابن هشام، مغنى اللبيب ٧٦/١
- 185 - البقرة ٧٤
- 186 - الصافات ١٤٧
- 187 - النحل ٧٧
- 188 - الإنسان ٢٤
- 189 - جرير بن عطية، ديوان جرير ص ٢٧٥، الصاوى، ١٣٥٣ هـ - ابن الشجرى، الأمالى ٣١٧/٢ - ابن هشام، مغنى اللبيب ٧٥/١ وفيه: [جاءت] مكان [كانت] - السيوطى، مع الموامع ١٣٤/٢
- 190 - الطبرى، جامع البيان ٥١٤/١
- 191 - القرطى، الجامع ٣٨٦٦/٤
- 192 - المرجع السابق ١٢٤/٢٣
- 193 - السابق ١٢٥/٢٣
- 194 - وردت هذه القراءة منسوبة لجعفر بن محمد لدى ابن جنى فى المحتسب ٢٢٦/٢-٢٢٧. ثم قال: وقراءة الجماعة {أَوْ يَزِيدُونَ}.
- 195 - القرطى، الجامع /
- 196 - المزمّل ٢٠
- 197 - الطبرى، جامع البيان ١٥٥/٢٩
- 198 - الأنعام ١٠٩
- 199 - سيبويه، الكتاب ١٢٣/٣ - الفراء، معانى القرآن ٣٥٠/١ ابن فارس، الصحاح ص ١٧٦، الثعالبي، فقه اللغة ص ٣٩٦
- 200 - الطبرى، جامع البيان ٤٠٧/٧
- 201 - قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلف عنه، ويعقوب وخلف فى اختياره بكسر همزة {إِنَّهَا}... ووافقهم ابن محيصن واليزيدى والحسن، وقرأ الباقر بالفتح. انظر البناء إتحاف فضلا البشر ص ٢٧١
- 202 - الأعراف ١٢
- 203 - الأنبياء ٩٥
- 204 - الطبرى، جامع البيان ٤٠٨/٧
- 205 - وهو موجود فى ديوان حاتم الطائى ص ١٠٩، المطبعة الوهية ١٢٩٣ هـ - البغدادى، خزنة الأدب ١٩٥/١، وابن يعيش فى شرح المفصل ٧٨/٨
- 206 - سيبويه، الكتاب ٣١٢/١ - أبى زيد الأنصارى نادر أبى زيد ص ٧٢

- 207 - الأنباري، الإنصاف ٥٩١/١
- 208 - الطبري، جامع البيان ٤٠٩/٧
- ٢٠٩ - يوسف ١٠٠
- ٢١٠ - ابن هشام، مغني اللبيب ١٢٣/١
- 211 - الطبري، جامع البيان ٩٣/١٣
- ٢١٢ - عمرو بن قعينة، ديوانه ص ٢٣، تحقيق / حسن الصيرفي، دار الكاتب العربي، ١٩٧١ م - ابن قتيبة، أدب الكاتب ص ٥٢٠ - الصحاري، الإبانة ٣٨٢/١
- ٢١٣ - الصحاري، الإبانة ٣٨٢/١
- ٢١٤ - آل عمران ٧٥
- ٢١٥ - الصحاري، الإبانة ٣٨٢/١ - ابن هشام، مغني اللبيب ١٢٢/١
- 216 - يوسف ٦٤
- ٢١٧ - المطففين ٣٠
- ٢١٨ - الصافات ١٣٧
- ٢١٩ - البيت لغادي بن ظالم السلمى، وقيل: لأبي ذر الغفاري، وقيل للعباس بن مرداس السلمى، انظر ابن منظور، لسان العرب ٢٣٠/١، دار المعارف، مصر، ب. ت - الصاحي، لابن فارس ص ١٣٤ - الثعالبي، فقه اللغة ص ٣٨٦
- 220 - الطبري، جامع البيان ٤٣٠/٣
- ٢٢١ - ابن هشام، مغني اللبيب ١٢٢/١ - ابن فارس، الصاحي ص ١٣٣ - الثعالبي، فقه اللغة ص ٣٨٦
- ٢٢٢ - الفرقان ٥٩
- ٢٢٣ - الأحزاب ٢٠
- ٢٢٤ - الحديد ١٢
- ٢٢٥ - الفرقان ٢٥
- 226 - الزمخشري محمود بن عمر [٥٣٨هـ]، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجه التأويل ٢٧٥/٣، ضبطه / مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٣ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.
- 227 - المزمل ١٨
- ٢٢٨ - ابن فارس، الصاحي ص ١٣٣ - المالقي، رصف المباني ص ١٤٤
- ٢٢٩ - المعارج ١
- ٢٣٠ - وورد في اللسان عجزه [وقد علقت بتعلية العلوق]، وانظر الصدر لدى ابن فارس، الصاحي ص ١٣٣
- ٢٣١ - البيت لعلمة بن عبدة، وهو كذلك في ديوانه ص ٣٥، تحقيق / د. عبد الحفيظ البسطلي، المطبعة التعاونية بدمشق ١٩٧١ م - الهروي، الأزهية ص ٢٨٤ - المالقي، رصف المباني ص ١٤٤ - التبريزي، شرح مختارات المفضل للتبريزي ١٥٨٢/٣ وفيه يقول التبريزي: وقال بالنساء؛ يريد: عن النساء.

- ٢٣٢ - ديوان ابن أحر ص ٧٦- الصحارى، الإبانة ٣٨٠/١
- ٢٣٣ - ابن قتيبة، أدب الكاتب ص ٥٠٩- الأصمعيات قصيدة رقم ١٥ بيت ٣٨ ص ٣٩ والبيت للمالك بن ح - الصحارى، الإبانة ٣٨٠/١
- ٢٣٤ - الأصمعي، الأصمعيات ٦٧، تحقيق /أحمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف ١٣٧٥ هـ - البطليوسى، الاقتضاب ٣/٣٤٧
- ٢٣٥ - "الكاشح: المعرض عنه من العداوة، فالكشع يتعدى بـ[عن]، ولذا عُذْتُ الباء في [بذاحل] بمعنى [عن] والقصيدة عبد قيس بن خفاف، ومطلعها:
- صحوت وزايلنى باطل لعمر أيبك زبالا طويلا "
- المفضل الضبي أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، المفضليات ص ٣٧٧، تحقيق / عمر فاروق الطباع، ط ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، شركة الأرقم بن أبي الأرقم.
- ٢٣٦ - الطبرى، جامع البيان ٣٧/١١
- ٢٣٧ - المرجع السابق ٢٧/٢٩١
- ٢٣٨ - السابق ٢٩/٨٦
- 239 - المعارج ٢
- ٢٤٠ - الطبرى، جامع البيان ٢٩/٨٧
- ٢٤١ - الأعشى ميمون بن قيس، ديوان الأعشى ص ٣٩- البطليوسى، الاقتضاب ٣/٣٧٤- ابن قتيبة، أدب الكاتب ص ٥١٥- الصحارى، الإبانة ٣٨١/١- المالقى، رصف المباني ص ١٤٥- ابن فارس، الصحاح ص ١٣٤- الثعالى، فقه اللغة ص ٣٨٦- ابن سيده المخصص ١٤/٦٧
- ٢٤٢ - الثعالى، فقه اللغة ص ٣٨٦
- ٢٤٣ - المالقى، رصف المباني ص ١٤٥
- ٢٤٤ - يونس ٨٧
- ٢٤٥ - الثعالى، فقه اللغة ص ٣٣٦
- ٢٤٦ - آل عمران ١٢٣
- ٢٤٧ - القمر ٣٤
- ٢٤٨ - ابن هشام، مغنى اللبيب ١/١٢١
- ٢٤٩ - الدخان ٣٩. - يورده ما أورده الطبرى فى تفسير تلك الآية.
- 250 - الطبرى، جامع البيان ٢٥/١٦٦
- ٢٥١ - الصحارى، الإبانة ٣٨٢/١، وقد قام بشرح الغريب بالتفصيل - الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف ١/٧٠- ابن الشجرى، الأمال ١/١٣٠
- ٢٥٢ - الصحارى، الإبانة ٣٨٢/١
- ٢٥٣ - هرد ٤٨
- ٢٥٤ - المائدة ٦١
- ٢٥٥ - النصر ٣

- ٢٥٦ - ابن هشام، مغنى اللبيب ١/١٢١
- ٢٥٧ - المالكى، رصف المباني ص ١٤٤
- ٢٥٨ - طه ٧٨
- 259 - يونس ٩٠
- ٢٦٠ - انظر المفضليات ص ٧٠ ومطلعها:
- أعائدتى من حب سلمى عوائدى
- ألا يا لقومى والسفاهة كاسمها
- ٢٦١ - للزخشرى، المفضل ص ٣٦٦
- 262 - تفسير الطبرى ٦/٤٠٠
- 263 - المرجع السابق ١٢/٧٢
- ٢٦٤ - انظر الإبانة ١/٣٨١ - الصحاحى ص ١٣٣ - فقه اللغة للثعاللى ص ٣٨٦
- ٢٦٥ - الإنسان ٦
- ٢٦٦ - الصحارى، الإبانة ١/٣٨١ - الزوزنى الحسن بن أحمد، شرح المعلقات السبع ص ١٤٤، منشورات التجارية المتحدة، دار البيان، بيروت، ب. ت - التريزى يحيى بن على شرح القصائد العشر ص ١٨٦ تحقيق / فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط ٣، ١٩٧٩ م - ابن قتيبة، أدب الكاتب ص ٤٠٨ - البطليوسى، الاقتضاب ص ٤٤٧ - الزخشرى جاز الله أبو القاسم محمود بن عمر [ت ٥٣٨ هـ] أساس البلاغة مادة [شرب]، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م - ابن الشجرى الأمالى ٢/٢٧٠ - ابن يعيش، شرح المفضل ٢/١١٥ - ابن جنى، المحتسب ٢/٨٩
- ٢٦٧ - السكرى، شرح ديوان المذللين ١/٥٢ - الهروى، الأزهية ٢٨٤ - ابن جنى، الخصائص ٢/٨٥ - السيوطى، الأشباه والنظائر فى النحو ٤/٢٨٧ تحقيق / عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت ط ١، ١٩٨٥ م - الطبرى جامع البيان ٢٩/٢٥٨ - البغدادى، خزانة الأدب ٧/٩٧ - ابن جنى، المحتسب ٢/٨٥ الخصائص ٢/٨٥ - ابن الشجرى، الأمالى ٢/٢٧٠ - البغدادى، خزانة الأدب ٣/١٩٣
- 268 - البيت من الطويل، وهو لأبى ذؤيب الهذلى - السيوطى، الأشباه والنظائر فى النحو ٤/٢٨٧ - ابن جنى، الخصائص ٢/٨٥ - السيوطى، شرح شواهد المغنى ص ٢١٨، ابن منظور، لسان العرب مادة [شرب، مخر، منى - البغدادى، خزانة الأدب ٧/٩٧ - وفى مغنى اللبيب لابن هشام [ترفعت] مكان [تصعدت] مغنى اللبيب ٣/١٢٣
- ٢٦٩ - الطبرى، جامع البيان ٢٩/٢٥٨
- 270 - ق ١، ٢، ٣
- 271 - ص ١، ٢
- 272 - المالكى، رصف المباني ص ١٥٥
- 273 - المرجع السابق ١٥٧
- 274 - الطبرى جامع البيان ٢٦/١٩٠
- 275 - المرجع السابق ٢٣/١٤٣
- 276 - الزبيدى تاج العروس مادة [بلل]

278 - عرض ابن جني في هذه الآية سبع قراءات مختلفة وهي على النحو التالي:

- قرأ سليمان بن يسار وعطاء بن السائب {بَلْ أَذْرَكَ عَلْمُهُمْ} بفتح اللام، ولا همزة ولا ألف.

- وروى عنهما {بَلْ أَذْرَكَ عَلْمُهُمْ} بفتح اللام ولا همزة وتشديد الدال، وليس بعد الدال لألف.

- وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن محيصن وقتادة {بَلْ أَذْرَكَ}

- وقرأ ابن عباس {بَلْ أَذْرَكَ} بياء ممدودة.

- وقرأ الحسن {بَلْ أَذْرَكَ} مخفوضة، مشددة الدال.

- وقرأ أبي بن كعب {بَلْ تَذْرَكَ}.

- وقراءة الناس:

* {بَلْ أَذْرَكَ عَلْمُهُمْ}.

* {بَلْ أَذْرَكَ}. [المختص ١٤٢/٢ - ١٤٣]

أما قوله قراءة الناس، أى القراءة المجمع عليها، وهي التي تتواتر على صحتها الأمة، ولذا اختارها الطبري، على الرغم من عرضه لبقية القراءات.

أما القراءة الثانية من هاتين القراءتين فقراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش، وقرأ

الباقون بالأولى.. انظر البناء، إنحاف فضلا البشر ص ٤٣١

279 - التوبة ٣٨

280 - الطبري، جامع البيان ٩/٢٠

281 - المرجع السابق

282 - السابق ١١/٢٠

283 - [على] حرف جر، ومعناه: استعلاء الشيء: تقول: ها على ظهر الجبل، وعلى رأسه... لسان العرب لابن منظور مادة [على].

٢٨٤ - الصحاري، الإبانة ٣٧٢/١

٢٨٥ - للزبيان السعدي في ديوانه ص ٩١ - ابن منظور، اللسان مادة [فيه] - الأزهري محمد بن أحمد، تهذيب

اللغة ٣٤١/٦، تحقيق / عبد السلام هارون، مراجعة / محمد على النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والأبناء والنشر، ط ١ ١٩٦٤ م

٢٨٦ - البيت لعون بن عطية، انظر الاقتضاب ٢٨٨/٢

٢٨٧ - ديوان أبي ذؤيب ص ٩٠ - المفضليات ص ٤٢٤ - شرح مختارات المفضل ١٧٠١/٣ - تاج العروس مادة

[على].

٢٨٨ - المفضل ص ٣٧٠

289 - البيت لمزاحم بن الحارث العقيلي - المبرد، المقتضب ٥٣/٣ - ابن هشام، مغني اللبيب ١١٦/١، مع

المراجع ٣٦/٢

٢٩٠ - مغني اللبيب ١٦٥/١ - تاج العروس مادة [على].

٢٩١ - الأعراف ١٠٥

٢٩٢ - لم أعثر على هذه القراءة فيما وقع لدى من كتب القراءات الشاذة المشهورة أو غير المشهورة، وقد تكون هذه القراءة المنسوبة لابن مسعود رضى الله عنه هي حرف ابن مسعود، وهو أحد سبعة أحرف نزل عليها القرآن، وكما هو معلوم فقد استقرت الأمة على حرف واحد منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، حينما أمر بكتابة المصحف على حرف واحد وأحرق ما سواها، ومن ذلك الحرف واحتمالات رسمه وصحة سنده، وسلامة لغته ظهرت القراءات السبع والعشر المجمع على صحتها وجواز القراءة بها.

293 - وللطبرى بحث عظيم في معنى الأحرف السبع التي نزل بها القرآن، ووصل إلى أن الأمر بالقراءة بها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان للتخفيف، وكان أمراً فيه تخيير للقارئ أن يقرأ بإحداها. وقد ورد هذا في مقدمة الطبرى رحمه الله تعالى.

294 - انظر تفصيل تلك القراءة أيضاً فلى القرطبي في الجامع ٢٧٧٣/٣

295 - الطبرى، جامع البيان ١٩/٩

٢٩٦ - الصحارى، الإبانة ٣٧١/١ - ابن هشام مغنى اللبيب ١٦٤/١

297 - وقد علق الزبيدى في التاج على ذلك فقال: " وإنما عدها بـ [على]؛ لأنه إذا رضيت عنه أحبته، وأقبلت عليه، فلذا استعمل [على] بمعنى [عن].

قال ابن جنى: وكان أبو على يستحسن قول الكسائى في هذا؛ لأنه قال: لما كان [رضيت] ضد [سخطت] عدها بـ [على] حملاً على نقيضه كما يحمل على نظيره، وقد سلك سبويه هذه الطريق في المصادر كثيراً، وقالوا كذا وأحدهما ضد الآخر، وقلت: ومنه أيضاً الحديث " من صام الدهر ضيقت عليه جهنم " أى: عنه فلا يدخلها، ولا يجوز حمله على حقيقته؛ لأن صوم الدهر بالجملة قرينة، وكذا حديث أبى سفيان " لولا أن يأتروا على الكذب لكذبت؛ أى: يرووا عني ". تاج العروس مادة [على].

وأورد ابن منظور ما أورده الزبيدى، غير أنه أفاض في ذكر عللة التعاقب بين [على] و [عن] فقال: وقالوا: ثبت عليه؛ أى: كثر. وكذلك يقال: عليه مال، يريدون ذلك المعنى، ولا يقال: له مال إلا من العين، كما يقال: عليه مال إلا من غير العين، قال ابن جنى: وقد يستعمل [على] في الأفعال الشاقة المستقلة، تقول: قد سرنا عشر، وبقيت علينا ليلتان، وقد حفظت القرآن، وبقيت على من سورتان، وقد صمنا عشرين من الشهر، وبقيت علينا عشر. كذلك يقال في الاعتداد على الإنسان بذنوبه، وقبح أفعاله.

وإنما اطردت [على] في هذه الأفعال من حيث كانت [على] في الأصل للاستعلاء والتفرع، فلما كانت هذه الأحوال كلفاً ومشاقاً تخفف الإنسان وتضعه، وتعلوه وتفرعه حتى يخضع لما يتسدها بها، كان ذلك من مواضع [على]. ألا تراهم يقولون: هذا لك وهذا عليك، فتستعمل [اللام] فيما تؤثره، و [على] فيما تكرهه؟ وقالت الخنساء:

سأحمل نفسى على آلة فإما عليها وإما لها

انظر لسان العرب مادة [علا].

298 - البيت لذى الإصبع العلوان في ديوانه ص ٥٨ - ابن قتيبة، أدب الكاتب ص ٥٠٧ - المفضل الضبي،

المفضليات ص ١٥٤ - الصحارى، الإبانة ٣٧١/١

299 - ابن هشام، مغنى اللبيب ١٦٤/١

300 - المائدة ١١٩، التوبة ١٠٠، المجادلة ٢٢، البينة ٨

- 301 - الفتح ١
- 302 - التوبة ٣٨
- 303 - التوبة ٨٣
- 304 - الأحزاب ٥١
- 305 - المائدة ٣
- 306 - طه ١٠٩
- ٣٠٧ - الصحارى، الإبانة ٣٧٠/١
- ٣٠٨ - البقرة ١٠٢
- ٣٠٩ - البقرة ١٨٤، ١٨٥ - النساء ٤٣
- ٣١٠ - القصص ١٥
- 311 - ابن منظور، لسان العرب مادة [على]، ابن يعيش، شرح المفصل ٧٤/٦ - البغدادى، خزائن الأدب
- ٤٦٦/٣ - سيويه، الكتاب ٥٦/١ - الأنبارى، الإنصاف ٤٨٩
- ٣١٢ - ابن هشام، مغنى اللبيب ١٦٤/١
- ٣١٣ - الحاقة ٤٤
- 314 - الطبرى، جامع البيان ٦٢٦/١
- 315 - المرجع السابق ٦٢٨/١
- 316 - السابق ٦٢٨/١ - ٦٣٣
- 317 - القرطبي، الجامع ٥٤٠/١
- ٣١٨ - ديوان الراعى النمرى ص ٦٧ - البطلوسى، الاقتضاب ٣٥٤/٣ - الصحارى، الإبانة ٣٧٤/١ - خزائن
- الأدب ٢٥٠/٤
- 319 - الزبيدي، تاج العروس مادة [على]
- 320 - البقرة ١٨٥
- 321 - الطبرى، جامع البيان ٢١٥/٢
- ٣٢٢ - الصحارى، الإبانة ٣٧٣/١
- ٣٢٣ - ديوان لبيد بن أبى ربيعة ص ٩٠، تحقيق / إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢ م - الأزهرى، تهذيب اللغة
- ٢٥٧/٤
- ٣٢٤ - ديوان الشعام بن ضرار ص ١٨٨، شرح / أحمد بن الأمين الشنقيطى، مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ -
- ابن سيده أبو الحسن على بن إسماعيل [ت ٤٥٨ هـ] المحمص ٦٤/٤، تحقيق / لجنة إحياء التراث العربى، دار
- الآفاق، بيروت، ب.ت.
- ٣٢٥ - التبريزى، شرح اختيارات المفضل ٥٢٧/١ - البيت للشنفرى فى قصيدة مطلعها:
- ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها إذ تولت
- ٣٢٦ - ابن هشام، مغنى اللبيب ١٦٤/١
- ٣٢٧ - البقرة ١٧٧

- ٣٢٨ - الرعد ٦
- 329 - ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى [٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ] النهاية في غريب الحديث وأثر مادة [صرع]، تحقيق / طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحى، المكتبة الإسلامية، ب. ت.
- 330 - تاج العروس مادة [على].
- 331 - الأعراف ٦٩، ٦٣
- 332 - ابن منظور: لسان العرب مادة [علا].
- ٣٣٣ - الصحارى، الإبانة ٣٧٣/١ - ابن هشام، المغنى اللبيب ١٦٥/١
- ٣٣٤ - المطففين ٢
- ٣٣٥ - الصحارى، الإبانة ٣٧٣/١ - ابن قتيبة، أدب الكاتب ص ٥١٨ - الهروى، الأزهية ص ٢٧٦
- ٣٣٦ - المائدة ١٠٧
- 337 - الطبرى جامع البيان ١١٤/٣٠
- 338 - القرطبي، الجامع ٧٢٣٠/٨
- ٣٣٩ - انظر الإبانة ٣٦٤/١، وانظر كذلك معنى اللبيب ١٧٠/١ وفيه يقول: رميت بالقوس. حكاه الفراء، وفيه رد على الحريرى فى إنكاره أن يقال ذلك، إلا إذا كانت القوس هى المرمية، وحكى أيضا: رميت على القوس.
- ٣٤٠ - الإبانة ٣٦٤/١ - ديوان امرئ القيس ص ١٤٩ - رصف المباني ص ٤٣٢ - الاقتضاب ٣٤٨/٣
- ٣٤١ - النجم ٣
- ٣٤٢ - مغنى اللبيب ١٧٠/١
- 343 - القرطبي، الجامع ٦٤٤٢/٧
- ٣٤٤ - ديوان امرئ القيس ص ١٧، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دا المعارف ١٩٥٨ م - التريزى، شرح القصائد العشر ص ٣٣ - ابن فارس، الصحاح فى فقه اللغة ص ٢٣٣ - الثعالبي، فقه اللغة ص ٣٩٩
- 345 - البيت فى اللسان مادة [عن] - الصحارى، الإبانة ٣٦٥/١
- 346 - ابن الشجرى، الأمالى ٢٧٠/٢
- 347 - تاج العروس مادة [عن].
- ٣٤٨ - المؤمنون ٤٠
- ٣٤٩ - النساء ٤٦
- ٣٥٠ - المائدة ٤١
- ٣٥١ - الانشقاق ١٩
- ٣٥٢ - ابن هشام، مغنى اللبيب ١٦٩م
- 353 - الطبرى، جامع البيان ١٦٥/٥
- 354 - المرجع السابق ١٥٣-١٥٧
- 355 - السابق ١٥٦/٣٠

356- وفي تاج العروس: ومن معاني [عن] الاستعلاء، نحو قوله تعالى {فإنما يينخل عن نفسه}؛ أى؛ على نفسه، ونقل الراغب عن أبي محمد البصري -رحمه الله تعالى- [عن] يستعمل أعم من [على]؛ لأنه يستعمل في الجهات الست، ولذلك وقع موقع [على] في قول الشاعر:

إذا رضيت على بنو قشير

٣٥٧ - ديوانه ص ٨٩ - الصحارى، الإبانة ١/٣٦٤ - الأنباري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد [٥٣١هـ - ٥٧٧هـ]، الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٣٩٤، تحقيق وتعليق / محي الدين عبد الحميد، ب.ت - ابن هشام، مغني اللبيب ١/١٦٨. وفي التاج مادة [عنن] قاله ابن السكيت، لسان العرب مادة [عنن].

٣٥٨ - الصحارى، الإبانة ١/٣٦٤ - ديوان قيس ص ٨٦

٣٥٩ - سورة ص ٣٢

٣٦٠ - ابن هشام، مغني اللبيب ١/١٦٨

361 - الطبري، جامع البيان ٢٣/١٨٤

٣٦٢ - ابن هشام، مغني اللبيب ١/١٦٩

٣٦٣ - طه ٤٢

364 - الطبري، جامع البيان ١٦/٢١١

365 - ديوان رؤية ص ١٥ طبع ليبسك، جمع / ولیم بن الورد ١٩٠٣م

٣٦٦ - التوبة ١١٤

٣٦٧ - هود ٥٣

٣٦٨ - الزخشرى، الكشف ٢/٤٠٣

٣٦٩ - البقرة ٣٦

٣٧٠ - ابن هشام، مغني اللبيب ١/١٦٩

371 - الطبري جامع البيان ١١/٦٠

٣٧٢ - إبراهيم ٩

٣٧٣ - النساء ٩٧

٣٧٤ - مغني اللبيب ١/١٩٢ - الإبانة ١/٣٦٧

375 - تفسير الطبري، جامع البيان ١٣/٢٤٦

376 - المرجع السابق ١٣/٢٤٧-٢٤٨

377 - القرطبي، الجامع ٤/٣٦٧١

٣٧٨ - ابن هشام، مغني اللبيب ١/١٩١ - المبرد، المقتضب ٢/٣١٨

٣٧٩ - طه ٧١

٣٨٠ - البيت لسويد بن أبي الكاهل. ابن هشام، مغني اللبيب ١/١٩١ - المبرد، المقتضب ٢/٣١٨ - ابن

فارس، الصاحي ص ٢٣٩ - ابن سيده، المخصص ١٤/٦٤ - الطبري، جامع البيان ١٦/١٤١ - الثعالبي، فقه

اللغة ٤٠١

- ٣٨١ - الصحارى، الإبانة ٣٦٧/١ وهو منسوب فيه لعنترة - وهو غير منسوب لبدى ابن هشام فى المغنى ١٩١/١
- ٣٨٢ - البيت لعوف بن عطية بن الحرّج الربان بن تيم الرباب، ومطلع القصيدة:
أمن آل مى عرفت الديار بحيث الشقيق خلاء قفاراً
- المفضل الضى، المفضليات ص— ٤٠٥ رقم المفضلية ١٢٦
- ٣٨٣ - الزمخشري، المفصل ص— ٢٣٦
- ٣٨٤ - ابن فارس الصحاح ص— ٢٣٩، وقد نقله عنه الثعالى فى فقه اللغة ص— ٤٠١
- 385 - الطبرى جامع البيان ١٦ / ٢٣٥ - القرطى الجامع /
- ٣٨٦ - الطور ٣٨
- ٣٨٧ - المبرد، المقتضب ٣١٨/٢
- 388 - الطبرى، جامع البيان /
- 389 - القرطى، الجامع ٧/٦٤٣٣
- ٣٩٠ - الإسرائ ٧٢
- ٣٩١ - يقصد عن هذه الأيام، الصحارى، الإبانة ٣٦٩/١ - الزركشى بدر الدين محمد بن هادى بن عبد الله الشافعى [ت ٧٩٤هـ] البرهان فى علوم القرآن ٤/٣٠٤، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، الباسى الحلى، مصر، ط ٢ ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- 392 - الطبرى، جامع البيان ١٥/١٦٠
- 393 - المرجع السابق
- 394 - السابق
- ٣٩٥ - ابن هشام، مغنى اللبيب ١٩١/١
- ٣٩٦ - يوسف ٣٢
- ٣٩٧ - رواه
- 398 - تفسير الطبرى /
- ٣٩٩ - الصحاح لابن فارس ص— ٢٣٩
- ٤٠٠ - الأعراف ٣٨
- ٤٠١ - مريم ١١
- ٤٠٢ - النمل ١٢
- ٤٠٣ - القرطى الجامع ٤/١٣١
- 404 - الطبرى، جامع البيان ٨/٢٢٧
- 405 - يوسف
- ٤٠٦ - تفسير القرطى ٦/٥٨
- 407 - الطبرى، جامع البيان ١٣/٢٧٥
- 408 - المرجع السابق ١٦/٦٧
- 409 - القصص ٨٢

- 410 - البقرة ١٥١
- 411 - البقرة ١٩٨
- 412 - معنى اللبيب ١٩٩/١
- 413 - معنى متعلق.
- 414 - الطبرى، جامع البيان ٥٠/٢
- 415 - المالكى، رصف المباني ص ٢٢٢
- 416 - الأعراف ٤٣
- 417 - النحل ١٢١
- 418 - النساء ٦
- 419 - النحل ٦٨
- 420 - الزلزلة ٥
- 421 - الرعد ٢
- 422 - الأنعام ٢٨
- 423 - الأحقاف ١١
- 424 - ابن هشام، معنى اللبيب ٢٣٨/١
- 425 - المرجع السابق
- 426 - الأعراف ٣٨
- 427 - هود ٣١
- 428 - البيت لأبي الأسود الدؤلى. ابن هشام، معنى اللبيب ٢٣٩/١ - السيوطى، الدرر اللوامع ٣٢/٢
- 429 - الأعراف ٣٨
- 430 - الطبرى جامع البيان ٢٢٧/٨
- 431 - هود ٣١
- 432 - هود ٢٩، ٣٠
- 433 - الطبرى، جامع البيان ٤١/١٢
- 434 - الأحقاف ١١
- 435 - الطبرى جامع البيان ١٧/٢٥
- 436 - ابن فارس الصاحبى ص ١٤٨ - الثعالبى فى فقه اللغة ص ٣٩
- 437 - الإسراء ٧٨
- 438 - طه ١٤
- 439 - ابن جنى المحتسب ٢٨٢/٢، إعراب القراءات الشواذ، العكبرى ٥٠٥/٢
- 440 - ق ٥
- 441 - ابن هشام معنى اللبيب ٢٣٨/١
- 442 - الطبرى، جامع البيان ١٨٦/١٦

- 443 - ابن هشام، مغنى اللبيب ٢٣٨/١، ابن فارس، الصحاحى ص١٤٨
- 444 - الحشر ٢
- 445 - الأنبياء ٤٧
- 446 - الطبرى، جامع البيان ٣٦/٢٨
- 447 - المرجع السابق ٣٧/٢٨
- 448 - القرطبي ٦٦٦٨/٧
- 449 - السابق ٤٤/١٧
- 450 - آل عمران ٤٧
- 451 - ابن فارس، الصحاحى ص٢٦٧ - الثعالبي، فقه اللغة ص٤٠١
- 452 - النحل ١٥
- 453 - طه ٤٤
- 454 - ابن هشام، مغنى اللبيب ٣١٧/١
- 455 - البقرة ٢١
- 456 - ابن الشجرى، الأمالي ٥١/١
- 457 - ابن جنى، المختصب ١٠٥/١ - الأصمعى، الأصمعيات ص٢٤
- 458 - الطبرى، جامع البيان ٢٣٤/١
- 459 - المالكى، رصف المباني ص٢٧٦
- 460 - النساء ١٦٦
- 461 - آل عمران ١٩٨
- 462 - الطبرى، جامع البيان ٢٨٨/٤
- 463 - الزمر ٢٠
- 464 - الطبرى، جامع البيان ٢٤٦/٢٣
- 465 - التوبة ٣٣
- 466 - الأنعام ٧
- 467 - ابن فارس، الصحاحى ص٢٥٢ - الثعالبي، فقه اللغة ص٤٠٠
- 468 - الطبرى، جامع البيان ٦٨/٢٨
- 469 - الأنعام ٤٣
- 470 - الصافات ١٤٣، ١٤٤
- 471 - يونس ٩٨
- 472 - هود ١١٦
- 473 - ابن فارس، الصحاحى ص٢٥٤
- 474 - المنافقون ١٠
- 475 - الطبرى، جامع البيان ٢٥٣/٧

- 476 - يونس ٩٨
- 477 - أى فى قراءة ابن مسعود.
- 478 - الطبرى، جامع البيان ٢٢٣/١١
- 479 - المرجع السابق ١٨٠/١٢
- 480 - الحجر ٧
- 481 - ابن فارس، الصحاحى ٢٥٣
- 482 - الطبرى، جامع البيان ١٠/١٤
- ٤٨٣ - الرعد ١١
- ٤٨٤ - المبرد أبو العباس محمد بن يزيد [٢١٠هـ - ٢٨٥هـ]، المقتضب ٣١٨/٢، تحقيق / محمد عبد الخالق عزيمة، ١٤٥١هـ - ١٩٩٤م.
- ٤٨٥ - ابن هشام، مغنى اللبيب ٣٥٢/١
- ٤٨٦ - الصحارى، الإبانة ٣٦١/١
- ٤٨٧ - غافر ١٥
- 488 - وإلى هذا التوجيه ذهب القرطى فى تفسيره الجامع ٥٩١٤/٧
- ٤٨٩ - القدر ٤-٥
- 490 - الشورى ٤٥
- 491 - الزبىدى، تاج العروس مادة [منن]
- 492 - ابن منظور، لسان العرب مادة [منن].
- 493 - الطبرى، جامع البيان ١٥٦-١٥٤/١٣
- 494 - المرجع السابق ٥٥/٢٥
- ٤٩٥ - ابن فارس، الصحاحى ص ٢٧٣ - الصحارى، الإبانة ٢٦٣/١ - الثعالى، فقه اللغة ص ٤٠٢
- ٤٩٦ - الأنبياء ٧٧
- ٤٩٧ - النساء ١٢٤ - طه ١١٢
- ٤٩٨ - ابن هشام، مغنى اللبيب ٢٥٢/١ - البغدادى ٥٠٠/٤ - المبرد، المقتضب ١٣٧/٤ - السكرى، شرح ديوان المهذلين ٣٥/١
- 499 - على نحو ماورد عن ابن برى إلى أنه يقال: نصرته من فلان؛ أى: منعه منه، لأن الناصر لك مانع عدوك، فلما كان [نصرته] فى معنى [منعه]، جاز أن يتعدى بـ[من]، ومثله قوله تعالى {فليحذر الذين يخالفون عن أمره} فعدى الفعل بسبع [حملا على معنى: يخرجون عن أمره؛ لأن المخالفة خروج عن الطاعة. انظر تاج العروس مادة [منن]، ولسان العرب كذلك، وانظر لتضمن معنى {نصرناه} معنى [انتقمنا]. تفسير القرطى
- ٤٤٧١/٥
- 500 - الطبرى، جامع البيان ٦٦/١٧
- 501 - القرطى، الجامع ٤٤٧١/٥
- ٥٠٢ - الزمر ٢٢

- ٥٠٣ - الأنبياء ٩٧
- ٥٠٤ - ص ٢٧
- ٥٠٥ - ابن هشام، مغني اللبيب ٣٥١/١
- 506 - الطبري، جامع البيان ٢٤٩/٢٣
- 507 - القرطبي، الجامع ٥٨٥٨/٦
- ٥٠٨ - فاطر ٤٠ - الأحقاف ٤
- ٥٠٩ - الصحاري، الإبانة ٣٦٣/١ - الزبيدي، تاج العروس مادة [منن]
- ٥١٠ - الجمعة ٩
- ٥١١ - ابن هشام، مغني اللبيب ٣٥٢/١
- ٥١٢ - البقرة ١٠٦
- 513 - القرطبي، الجامع ٦٧٦٣/٧
- 514 - الإنسان ١
- ٥١٥ - ابن الشجري أبو السعادات ابن الشجري، الأمل الشجرية ٣٢٣/١، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
- ٥١٦ - سورة الواقعة آية رقم ٦٢.
- ٥١٧ - ابن الشجري، الأمل ٣٢٣/١.
- ٥١٨ - المرجع السابق.
- ٥١٩ - المبرد، المقتضب ٤٢/١ - ابن الشجري الأمل ٣٢٤/١.
- ٥٢٠ - ابن الشجري، الأمل ٣٢٤/١.
- ٥٢١ - ابن الشجري، الأمل ٣٢٥/١.
- ٥٢٢ - العكبري، التبيان في إعراب القرآن ١٢٥٧/٢، تحقيق / إبراهيم عطوة عوض، البابي الحلبي، ط ١
- ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م
- 523 - المفضليات قصيدة ٨ بيت ٩ ص ٤٥
- 524 - الطبري، جامع البيان ٢٥١/٢٩
- 525 - القرطبي، الجامع ٧٠٩٧/٨
- 526 - يونس ٧١
- 527 - البيت لعبد الله بن الزبيري: ابن جني الخصائص ٤٣١/٢ - المبرد، الكامل ص ١٨٩ - ابن الشجري، الأمل ٣٢١/٢ - ابن يعيش، شرح المفصل ٥٠/٢ - السيوطي، مع المراجع ٥١/٢ - المبرد، المقتضب ٥٢/٢
- 528 - الطبري، جامع البيان ١٨٤/١١ - ١٨٥
- 529 - آل عمران ١٥٤
- 530 - الطبري، جامع البيان ١٩٠/٤
- 531 - الذاريات ٤٧

- ١- أبو زيد الأنصاري
نوادير أبي زيد الأنصاري، البيت للتحفيظ العقيلي، تحقيق / سعيد الخوري، بيروت ١٨٩٤م
- ٢- ابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق / طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ب. ت.
- ٣- أ. جى. بريل
دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكرى، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
- ٤- ابن أحرر
شعر ابن أحرر، ب. ت، ب. ط
- ٥- الأخطل
ديوان الأخطل، تحقيق / أنطون صالحان، بيروت ١٨٩١م
- ٦- الأزهرى محمد بن أحمد
تهذيب اللغة، تحقيق / عبد السلام هارون، مراجعة / محمد على النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر، ط ١ ١٩٦٤ م
- ٧- الأصمعى
الأصمعيات، تحقيق / أحمد شاكِر وعبد السلام هارون دار المعارف ١٣٧٥ هـ.
- ٨- الأعشى ميمون بن قيس
ديوان الأعشى، تحقيق محمد حسين، دار الآداب بالجماميز، ب. ت
- ٩- امرؤ القيس
ديوان امرؤ القيس، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٥٨م
- ١٠- الأنبارى أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق / عبد السلام هارون، دار المعارف، ط ٤، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- ١١- الأنبارى كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد [٥٣١هـ - ٥٧٧هـ]
الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق وتعليق / محيى الدين عبد الحميد، ب. ت
- ١٢- البطلوسى ابن سيد
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، دار الجليل، بيروت ١٣٢٧ هـ
- ١٣- البغدادي عبد القادر بن عمر البغدادي [ت ١٠٩٣هـ]
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق / عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ١٤- البناء شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الديماطى [ت ١١١٧هـ]
إتحاف فضلا البشر في القراءات الأربع عشر، وضع حواشيه الشيخ / أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ [١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م].

- ١٥ - التبريزي يحيى بن علي
شرح القصائد العشر، تحقيق / فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط ٣، ١٩٧٩م
- ١٦ - والتهالي أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل [ت ٤٣٠هـ]
فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق / د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٧ - جرير بن عطية
ديوان جرير، الصاوي، ١٣٥٣هـ
- ١٨ - ابن الجزري: محمد بن محمد الدمشقي [ت ٨٣٣هـ]
النشر في القراءات العشر، صححه وراجعته / علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، بيروت. ب.ت.
- ١٩ - ابن جني أبو الفتح عثمان ابن جني [ت ٣٩٢هـ]
- الاختصاص، تحقيق / محمد علي النجار، ط ٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- المختص في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق / علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شلي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
- سر صناعة الإعراب، تحقيق / حسن هندواي، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار القلم دمشق
- ٢٠ - حاتم الطائي
ديوان حاتم الطائي، المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ
- ٢١ - حميد بن ثور
شعر حميد بن ثور، تحقيق / عبد العزيز الميمني دار الكتب، ١٣٦٩هـ -
- ٢٢ - خير الدين الزركلي
الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، ١٩٨٩م.
- ٢٣ - ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان [ت ٦٨١هـ]
وفيات الأعيان، تحقيق / إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. ب.ت.
- ٢٤ - الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان [ت ٧٤٨هـ]
ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق / علي محمد البحايي، دار الفكر، ب.ت.
- ٢٥ - ذى الرمة
ديوان ذى الرمة، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي رواية ثعلب، تحقيق / د. عبد لقدوس أبو صالح، طبعة طبرين دمشق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م
- ٢٦ - الراعي النمري [عبيد بن حصين]
ديوان الراعي، جمعه وحققه / رابنهرت فاييرت، نشر / فرانتس شتايز بفيسادان، بيروت ط ١، ١٩٨٠م
- ٢٧ - رؤبة بن العجاج
ديوان رؤبة طبع ليسك، جمع / وليم بن الورد ١٩٠٣م
- ٢٨ - الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي [ت ٧٩٤هـ]

- البرهان في علوم القرآن، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، الباني الحلبي، مصر، ط ٢ ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ٢٩- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر [ت ٥٣٨هـ]
- المفصل، قدم له / إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ضبطه / مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٣ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
- ٣٠- الزوزني الحسن بن أحمد
- شرح المعلقات السبع، منشورات التجارية المتحدة، دار البيان، بيروت، ب. ت -
- ٣١- السكري أبو سعيد الحسن بن الحسين
- شرح أشعار المهذلين، تحقيق / عبد الستار أحمد فراج، وراجعه/محمود محمد شاكر دار العروبة، ب. ت
- ٣٢- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر [ت ٣٥٨هـ]
- الكتاب، تحقيق وشرح / عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م
- ٣٣- ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل [ت ٤٥٨هـ]
- المخصص، تحقيق / لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، ب. ت.
- ٣٤- للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي [ت ٩١١هـ]
- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، دار الكتب
- الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق / عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت ط ١، ١٩٨٥ م
- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق / محمد عطا، ط ١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- شرح شواهد المغني، المطبعة البهية، مصر ١٣٢٣هـ
- جمع الموامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، عني بتصحيحه / السيد محمد بدر الغساني، دار المعرفة، بيروت، ب. ت
- ٣٥- ابن الشجري أبو السعادات ابن الشجري
- الأمالى الشجرية، دار المعرفة، بيروت، ب. ت.
- ٣٦ - الشماخ بن ضرار
- ديوان الشماخ، شرح / أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة ١٣٢٧هـ
- ٣٧- والشنقيطي أحمد بن الأمين الشنقيطي
- الدرر اللوامع على جمع الموامع شرح جمع الجوامع، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ب. ت.
- ٣٨- شهبة أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقى الدين ابن قاضى شهبة الدمشقي [٧٧٩هـ - ٨٥١هـ]
- طبقات الشافعية، صححه وعلق عليه: د. الحافظ عبد العليم خان، ورتب فهارسه: د. عبد الله أنيس الطباع، عالم الكتب بيروت، ط أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

- ٣٩- الصُّحارى سلمة بن مسلم العوتى [ولد في نهاية القرن الرابع الهجرى، وتوفى في أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجرى]
- الإبانة في اللغة العربية، تحقيق / د. عبد الكريم خليفة، د. نُصرت عبد الرحمن، د. محمد حسن عواد، د. جابر أبو صفية، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- ٤٠- طاش كبرى زاده
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق / كامل كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب العلمية، ب.ت
- ٤١- الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد [ت ٣١٠هـ]
- جامع البيان عن تأويل القرآن، قدم له: خليل الميس، وثقه: صدقي جميل العطار، دار الفكر ببيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- تاريخ الطبرى [تاريخ الأمم والملوك]، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت
- ٤٢- طرفة بن العبد
- ديوان طرفة، شرح / أحمد بن الأمين الشنقيطى، قازان ١٩٠٩م
- ٤٣- الطرماح بن حكيم
- ديوان الطرماح، طبعة ليدن، ١٩٢٧م
- ٤٤- د. عبد المجيد محمود
- الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث، ١٩٧٩م ١٣٩٩هـ.
- ٤٥- العسقلاني الحافظ ابن حجر العسقلاني
- لسان الميزان، ب.ت
- ٤٦- ابن عصفور أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد بن على الحضرمى الإشبيلي [ت ٦٦٩هـ]
- المقرب ومعه مُثُلُ المقرب، تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود و على محمد معروض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٤٧- العكبرى أبو البقاء العكبرى [ت ٦١٦هـ]
- إعراب القراءات الشواذ، تحقيق / محمد السيد عزوز، بيروت، ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- التبيان في إعراب القرآن، تحقيق / إبراهيم عطوة عوض، البابى الحلبي، ط١ ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م
- ٤٨- علقمة بن عبدة
- ديوان علقمة، تحقيق / د. عبد الحفيظ البسطلى، المطبعة التعاونية بدمشق ١٩٧١م
- ٤٩- عمرو بن قميئة
- ديوان ابن قميئة، تحقيق / حسن الصرقى، دار الكاتب العربى، ١٩٧١م
- ٥٠- د. عوض حمد القوزى
- المصطلح النحوى، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
- ٥١- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا [ت ٣٩٥هـ]

- الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، الصاحبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر [٩٩] يوليو ٢٠٠٣ م مصر
- ٥٢ - الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد
- معاني القرآن، تحقيق / احمد يوسف نجاتي و محمد على النجار، الهيئة العامة مصر، ط١، ١٩٨٠ م
- ٥٣ - ابن قتيبة عبد الله بن مسلم
- أدب الكاتب، تحقيق وتعليق / محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ١٩٨٢ م
- ٥٤ - القرطبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري [ت ٦٧١ هـ]
- الجامع لأحكام القرآن، دار الفد العربي مصر، ط٢، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
- ٥٥ - ابن كثير عبد الله
- البداية والنهاية، مطبعة السعادة، ١٩٥٤ م
- ٥٦ - لبيد بن أبي ربيعة
- ديوان لبيد، تحقيق / إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢ م
- ٥٧ - المالكى أحمد بن عبد النور المالكى [ت ٧٠٢ هـ]
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق / أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية بدمشق، ب.ت.
- ٥٨ - المبرد أبو العباس محمد بن يزيد [٢١٠ هـ - ٢٨٥ هـ]
- المقتضب، تحقيق / محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ١٤٥١ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٥٩ - د. محمد أمين فرشوخ
- موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت
- ٦٠ - المفضل الضبي أبو العباس المفضل بن محمد الضبي
- المفضليات، تحقيق / عمر فاروق الطباع، ط١ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، شركة الأرقم بن أبي الأرقم.
- ٦١ - مكى أبو محمد مكى بن أبي طالب القيسى القيرواني [٣٥٥ هـ - ٤٣٧ هـ]
- مشكل إعراب القرآن، تحقيق / ياسين محمد السواس، ط٢ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، دار اليمامة للطباعة والنشر بدمشق.
- ٦٢ - ابن منظور
- لسان العرب، دار المعارف مصر، ب.ت
- ٦٣ - النابغة الجعدي
- ديوان النابغة الجعدي، تحقيق / عبد العزيز رباح، نشر المكتب الإسلامي بدمشق، ١٣٨٤ هـ -
- ٦٤ - النابغة الذبياني
- ديوان النابغة، المطبعة الوهبة ١٢٩٣
- ٦٥ - الهروي
- الأزهية في علم الحروف، ب.ت

٦٦- ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري [٧٦١هـ]

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

٦٧- يزيد بن المفرغ الحميري

ديوان يزيد بن المفرغ، تحقيق / داود سلوم، بغداد دار الإيمان، ١٩٦٨م

٦٨- ابن يعيش موفق الدين بن يعيش على بن يعيش النحوي [ت٦٤٣هـ]

شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ب.ت